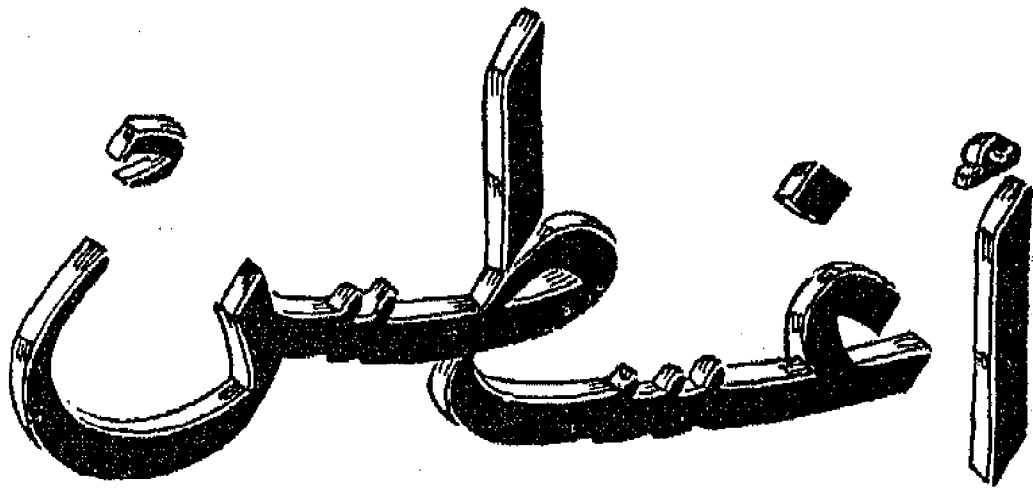


عبد اللطيف كير



الرسالة الثالثة من رسائل شاعر

وضع المال بدنينا قياسا
لبنى الدنيا فيا بش القياس
جرد الدهر من المال أناسا
أوليسوا في الورى ضمن الاناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد :

فإن أطهر امرأة شر من شيطانه ربيم . . . ؟

واكد

ليلاى...!

أنت نور من السما
أنت نعى من القدر
لك وجه كأنه .

في كثيف الدجى قمر
لك ثغر تضىء من
خلفه أبهج الدرر

أنت في كل ما يخط
ط يراعى من الصور
من قريض ومن أقا

صيص حب ، ومن فكر
أنت أستاذتى التى
علستى من الصغر . . !

كيف أبكى من الجوى
وأغنى من الضجر
لك في كل لفظة . .

من كلامى أرى أثر



عبداللطیف واکند

فبرایو ۱۹۳۷

مقدمة

الامتنان اسماعيل مظهر
عضو المجمع المصرى للثقافة العلمية

فى أدوار الانتقال ، وبخاصة الانتقال الفكرى ، يصيب
الناس ما يشبه الدوار الكاذب الذى يأخذ بمن يملكهم تيه
الصحراء . والسبب فى هذا ان الانتقال بطبعه حافز للهمم ،
مثير للآمال ، موسع للمطامع ، فلا بد اذن فى أدوار الانتقال
من كثرة الحركة ، فى العقليات والماديات ، ولا بد اذن من
القلق الذى هو نتاج لشبوب الأمل وعظيم المطامع . لهذا ترى
أن لعصور الانتقال طابعاً خاصاً ، يسم بحمل ما ينتج ذلك العصر
بميسم له صورته الخاصة . على أن تلك الصور ان تعددت
وزايل بعضها بعضاً من حيث القيمة والأثر والبقاء ، فان
أخصها وأبعدها فى التأثير ، إنما هى الصور التى يتمخض عنها
خيال مستمد من طبيعة البيئة ، أو من طبيعة الخلق الانسانى ،
أو من طبيعة الحوادث . تلك الأشياء التى هى فى الحقيقة أدنى
من المشاعر ، وأبعد عن العقل . وأخص ما تمتاز به أدوار

الانتقال ، خضوعها لمشاعر الناس ، وتماسكها من أحكام العقول .
أما أطوار الاستقرار ، فعلى النقيض من ذلك ، تخضع لحكم
العقل ، وتتملص قدر المستطاع من حكم المشاعر .

وقد يتفق أن تمر بالأمم في طور الانتقال فترات تلتهب فيها
العاطفة ، ويشتعل فيها الخيال . كما قد تمر بها هنيهات تفتر فيها
العاطفة ويستخفي الخيال . أما الفترات ، ففيها تدور عجلة التطور
بأقصى ما يستطيع من السرعة ؛ وأما الهنيهات ، ففيها تتقاعد
عجلة التطور عن الدوران اللازم لاستكمال ما يجب أن تأخذ به
الأمم من أسباب الانتقال .

ولقد بلونا في تاريخنا الحديث من أمثال ذلك الشيء
الكثير . فقد رأينا كيف التهمت العواطف وثارَت . ورأينا
كيف نحدث جذوة الخيال ، وكيف انتكست العواطف إلى
عكس ما أملنا فيها ؛ غير أنه قد بان لنا إلى جانب هذا كله أن
نتائج البعث العاطفي مشفوعاً بنتائج الهمود ، كان جماعها خيراً .
ذلك بأنها الخطوات الضرورية التي لا بد منها لتنتقل الأمة من
أوج إلى أوج

وما مرت بذهني هذه الخواطر وقد عمدت إلى كتابة
تصدير لهذا الكتاب الصغير المفيد ، إلا لشعوري بأن الفترة
التي نجتازها فترة ركود ، لعلها تكون سابقة لفترة من الشبوب

العاطفي الخيالي ، تنقلنا إلى أوج أرفع من الأوج الذي
نحن فيه .

وقد رأيت في هذا الكتاب نزعة إلى التوثب ، وخيالاته
أصالة ، فلو أن مؤلفه الشاب الأديب ، قد استطاع به أن يحفز
همم فئة من شبابنا إلى الأخذ بأسباب فضيلة التطلع إلى المثاليات ،
وان يرجع بهم إلى تصورات ماضية منتزعة من طبيعة
الحوادث ، فيستثير فيهم العاطفة ويوقظ الخيال ، إذن يكون قد
أدى رسالة كريمة ، أشعر بأننا في أشد الحاجة إليها .

اسماعيل مظهر



وفي حواشي هذه القصة الأزلية ، قصص يصوغها القدر
كل يوم ١٠٠

سرح النظر في صور العالم ، بتحقيق وتدقيق ، ترى قصصاً
مختلفة ، تمثلها الحياة على مسرح الدنيا ، فصولها عجيبة ، وأصولها
غريبة ، في تلك الفترة القصيرة التي تثب فيها الشمس من
المشرق إلى المغرب .. !!

أعجب ما في الحياة .. المرأة .. !!
وأرق ما فيها الجمال ..

وأقدس ما حوته .. الحب !
وأقسى ما ضمت بين جوانحها .. المال .. !! ؟

المرأة .. !

منجل الشر بين الناس ، وتبراس الخير بين العالمين ..

منجل الشر ، إن جرى في عروقها دم أخيها إبليس
ونبراس الخير إن سرى فيها شعور حواء الذي اكتسبته
من آدم ..

فيها مرارة الحياة .. وفيها حلاوتها .. !

ووداعتها ، وثورتها

وجمالها ، وقبحها

وصفاؤها ، واربدادها ..

وفتنها وفطورها .. ! !

كم شابا لا يريد أن يحيا لنفسه ... وإنما من أجل فتاة
أحبها ، يرى أن الحياة قد تمثلت فيها ؟ ؟

وكم رجلا ، قضى ردحا من الزمان ، لا يبالي .. أعاش أم
مات ، فأزجى له القدر امرأة جعلته يشعر بلذة العيش ، فتشبث
بالحياة .. الحياة التي رآها جميلة ناعمة كالمرأة التي يعشق .. ! ؟
يراها في الحياة ، ويرى فيها الحياه ! !

ولعمري إن أقرب صفة تصل ما بين الحياة والمرأة ، هي
التلون والرياء .. والمرأة عدا ذلك سريعة الملل لا تكاد تجرع
كأساً من جدول ، حتى تنزع نفسها إلى غيره ..

على أنني أرى أن أظهر امرأة شر من شيطان رجيم ..
ومع ذلك فلم يزل بين ربوع العالم قوم يعبدون الشيطان ..

.. الجمال !!

أليس هو غذاء الروح الذى جمعت فيه الطبيعة عبقريتها ؟
والوحى الذى يصعد بها سابحاً فى الملاء الأعلى لتسبح
بجمال الله وجلاله !!

أما هو قوام قصيد الشاعر ، ونغم الموسيقى ، ولحن البلبل ،
وأنشودة النسيم التى يهمس بها فى آذان الزهر الناعس ، عند
انبلاج الفجر ، وقد تأرجح على أوراقه نثار قطرات الندى
الفضية .. ؟ ؟

ولكل شئ جمال .. !!

ولكل جمال سحر !

ولكل سحر مذهب ، وتأثير ، وفتنة !!

ولكن أشد الجمال سحراً ، جمال المرأة ..

كل جمال تراه العين ، تتأثر به النفس ، وتود ألا تفارقه ،
ولكن لن يخفق له القلب ، وإن خفق فلا يدوم طويلاً ..

إلا جمال المرأة .. ؟ !

أليس هو الذى يتغلغل فى النفس ، متخذاً طريقه إلى القلب
فيغرس به أطهر بذرة ، لتنمو منها أقدم شجرة ، لتثمر ثمراً
مراً أو حلواً .. ؟ ؟

تلك الشجرة ، شجرة الحب !!
فإن كان حبا شقياً ، فثمرها مر ، وإن كان سعيدا فمذاقه
الشهد ، وعصيره الخمر الحلال ..

في طعم الثمر ، طعم الحياة ..
ومن جانب المرأة ، يستمد الشجر غذاءه ، والثمر مائه
فإن هجرت ، فماء الثمر مر ، وعصيره علقم !
وإن رضيت ، فما هو إلا سلاف ورحيق ..

والمال ..
ظالم قادر . ظلوم قاهر .. !
يضع الفوارق بين الأخوة الأشقاء ، فهذا غنى معزز ،
مترف مدلل ، وذاك فقير مهضوم ..
هذا ينعم في رحاب نعمة المال ، وذاك يتألم في سجن
ظلام الفقر .

يفرق الألفة ، وينمط العداوة بين الناس ويثير الحقد
والطمع في النفوس .. !!
كما أنه يولد الكبرياء .. ويخاق في الناس المداهنة والرياء .
(إلا الأدباء والشعراء ، !!)
كم أديب فقير ، أحب فأخفق !!

وكم موسر حقير ، رغب وزاحمه . . فوق !!
فبريق العسجد ، يسر الخرد (١)
ورائحة المال . . تخضع الرجال . .
وقليل من سلطانه ، يكفي لجعل المرء يمد سلطانه على كل
شيء يريد .
يجعل الخادم سيداً ، والسيد خادماً !! ويستمد الضعيف
منه القوة ، والعبي المنطق وفصاحة اللسان ، والجبان الشجاعة
والمقدرة .
عبدته المرأة . . ومن ورائها سجد العالم ، يقدسه ويصلي من
أجله . .
كل يبتغى السعادة . .
وكل يريد اللذة الدائمة . .
وكل تتوق نفسه إلى النعيم . .
وأين السعادة الخالدة . . واللذة الدائمة . . والنعيم المقيم . .
بين أحضان العالم ، في مثل هذا الزمان . . بغير المال . ١٩٩٩
على هذا كتبت قصصى . .

ومنه ألفت كتابي

(١) الخرد : بضم الخاء وتشديد الراء مفتوحة : الحسان .

قصة الحياة

كانت جالسة وحولها أبناءؤها . . صغيرهم في مهده يناغي ،
وثانيهم يلهو ، وأكبرهم يتحدث إلى أمه ، وهي تحيك ثوبا
لا يفتتها التي بجوارها . .

طرق سمعها - بينما تصغي لوليدها - جلبة وضوضاء ووقع
أقدام ، ما لبثت أن وقفت ، وأخذ أصحابها يقرعون بابها منادين
بأعلى صوتهم :

— افتحي لنا بابك . . لنر ما في بيتك من سعادة وهناءة
جميلتين . .

فأطلت عليهم من كوة ، وفي هدوء ودعة فاهت قائلة :

— من أنتم أيها الطارقون ؟ ؟

فقالوا : نحن (الناس) أتينا نستجدي عطفك ونطلب
رضاءك وودك . .

فابتسمت في دل قائلة :

— انتظروا هنيئة فسأعطيكم ما تطلبون

والتفت لوليدها الأكبر وقالت :

— اذهب اليهم يا ولدى ، وأعطهم باسمك ما هم فيه راغبون ،
وما أخا لهم إلا بحكمك راضين ، وبعطائك قانعين . .
قال سمعاً يا أماء . . سأذهب اليهم وأعرفهم كيف يمكنهم
بحسبك يستمتعون . .

وما كاد يفتح الباب حتى اندفع الناس اليه يتسابقون في
قوة ، وما رأهم ينحدرون نحوه حتى رفع يده في وجوههم قائلاً
بصوت جهورى :
— قفوا . .

فثبت كل فى مكانه فقال :

— إلى أين أيها الناس تتسابقون ؟ ؟
فقالوا إلى هذا البيت الذى تسكنه أمنا (الحياة) حتى
ينهل كل ما نفسه تشتهيه ، ويرتشف الكأس التى يرى لذته فيها
فقال : اصغوا إلى . فأنا رسول صاحبة البيت : ان كنتم
تعقلون . .

فقالوا : تكلم . . تكلم يا رسول ذات السحر والجمال ،
والعظمة والاجلال :

قال : أرسلتنى أمى

فقاطعه قائل : أهى أمك ؟ ؟

قال : نعم !

فقالوا جميعاً : تكلم يا ربيب النعيم ، والجمال المقيم

قال : أرسلتني أمي ، لأحكم فيكم باسمي ، وأعطيتكم مطالبكم

تحت لوائى ، وأقضى حاجاتكم تحت عرشى ..

فتهامس القوم فيما بينهم ثم قالوا سائلين :

— وما اسمك

قال فى جبروت عظيم بصوت جهورى :

— (الحق)

فصاح القوم والبشر يسودهم :

— أنعم بك من حاكم حكيم

وسكتوا برهة قالوا بعدها :

— وعلى أى شىء يخفق لواؤك ؟ ؟

فقال : على السلام والدعة :

فتהלلوا قائلين :

أكرم به من لواء دونه الخاذلون .. وعلى أى دعائم يقوم

عرشك ؟ ؟

فقال عرشى . تدعم أركانه الفضيلة :

فصفق القوم وهتفوا :

(ليحيا العرش إنه عرش عظيم)

ومن عرشه العلى قال للناس :
(امتلكوا الدنيا ، و تمتعوا بكل ما اشتملت عليه وما
أوصيكم إلا بالعدل والأخاء فى القسمة)
هب الناس سراعاً ، وأخذ كل انسان ما أراد لنفسه دون
أن يداخله الجشع وحب الأثرة ، فى قناعة جميلة ، بنفس هادئة
مطمئنة ، وما زجر أحد أخاه أو نظر إليه شزراً
وعاشوا ردها من الزمان ، يحكمهم ذلك السلطان وهم فى
هناء واطمئنان ..

قالت الابنة : متى يا أماه أرتدى ذلك الثوب ؟؟ إننى أراه
وكأنما قد انتهيت من حيا كته
فقالت الأم : مهلاً يا بنيتى ، وحاملة رسالتى ، وممثلة بين
الناس .. قد انتهى ثوبك فى ظاهره ، ولكن بقى فيه
الشيء الكثير ..

قالت : ماذا يا أماه ؟؟ أنا لا أراه إلا بهياً وقشياً
قالت الأم : سوف أطرزه بالسحر ، وأوشيه بالدهاء
وأملأ حواشيه بالرياء ، وأصبغ أوصاله بالتلون .. حتى إذا
ارتديته كنت ممثلة فى كل ناحية من نواحي

فراحت الفتاة تلهو ، مرردة أنشودة الغرور ، وأغنية
الكبرياء ، ونغم الفتنة :

« سوف تهينى أُمى السحر ، فيمكننى أن أسحر الباب الرجال »
« وتزودنى بالدهاء ، فأمكر بالقوم »
« وستضع فى جعبتى ذخيرة من الرياء والتلون ، أدافع بها
عن نفسى إذا غلبت على أمرى »
« فأبكى إذا أردت أن أظهار بالضعف حتى أسرق القلوب »
« وأضحك إن أردت أن أظهار بعدم الاكتراث فأقهر
كل من أراد أن يتغلب على »

ومرت أعوام وأعوام
وما زالت الابنة تتغنى
وما أتمت الأم صناعة الثوب

ولما انتهت الأم من إتمام الثوب نادى قائلة :
— يا ابنتى ، يا حاملة رسالتى ، تعالى وارتنى الثوب الذى
أعدته لك ، ولتكونى ممثلة بحذق ، أمينة فى تبليغ الرسالة :
فأقبلت الفتاة تلهث فرحة وهى تقول :

— لبيك يا أماء .. سأكون عند حسن ظنك بي
وارتدت الثوب

وأخذت تقبل وتدبر أمام مرآة الزمان
فأعجبت بنفسها
فدخلها الغرور

فتناولات بيدها لواء السحر ، لتجمع تحته العالمين ، وهمت
بالخروج ، فاذا بأماها تناديهما قائلة :

— انتظري حتى أعليك رسالة لمن سيكون أكبر عون
لك في ذلك الميدان العظيم ..

فتمالت : ومن هو يا أماء ؟ وهل هو حاذق مثلى أم أقل
منى دهاء أم أكثر ؟ ؟

فقلت الالام : لا يمكننى أن أفرق بينك وبينه ، ولست
أدرى أيكما أحقق ، فهو إبليس وأنت المرأة .
وحملت الرسالتين

رسالة أمها لابليس . ورسالة أمها لها

« من الحياة الى ابليس »

... ..

.. حاملة رسالتى ، حواء ابنتى ، أرسلتهما بين المجتمع
الانسانى ، لتلعب دورها الخطير على مسرح الدنيا بعد ما قبعت

فى عزلتها ربحاً كبيراً من الزمان ، فكن لها عوناً على
أداء المهمة . .

« الحياة »

قرأ إبليس الرسالة ثم وضعها فوق رأسه ، وراح يقبل
أذيال المرأة التى تقف أمامه

نظرت إليه فى احتقار . . وقالت فى أنفة وكبرياء ، وقد
داخلها الغرور ، إذ ظنته مفتتناً بها :

— ما هذا الذى تفعل ؟ ؟ أبعد . .

فقهقه بصوت عال ملاً ما بين السماء والأرض ونبه العالم
لعظم الضجة التى أحدثها وقال :

أتخاف عليك أمك . . ؟ وتود منى مساعدتك بعد
ما أفرغت عليك كل ما فى كأسها من عذوبة ومرارة ،
وقسوة ولين ؟ ؟

هيا تعالى معى ، ولتكونى عوناً لى على إفساد العالمين

وجلست المرأة فى روض بهيج ، خصته الأزامير
بالأريج ، فى معزل عما فى الحياة من ضجيج وعجيج .

وراح إبليس يبعث فى نفوس بعض الرجال الرغبة
فى التزوه ، ثم قادهم إلى ذلك الروض الذى جلست على عرشه
المرأة . .

مر بها رجل فأعجب بعودها الغض ، وجسمها البض ،
فوقف يتأمل ..

يتأمل ذلك المخلوق الجميل ، ذا الطرف الكحيل
يتأمل الخد المتورد .. والقدر الأهيف
يتأمل السحر الساحر ، والشعر الأسود
يتأمل الفتنة والجمال ..

ومر رجل آخر فلم يكن إلا كسابقه
وتسأل الرجلان :

ما هذا !! إنه لسحر ، إنها لفتنة . إنه لنعيم
وسكت الثاني واستطرد الأول :

— إنها لى وسوف أستمتع بها

فقال الثانى : كلا . ، وإنما هى لى دونك

فقال : أنا أحق بها منك ، فأنا الذى رآها أولا

فقال الثانى : هيا بنا نذهب لحاكمنا الحكيم ، فتكون لمن

يحكم بها له ..

ومثل الرجلان أمام سلطان الحق . وقال كل قولة
لحكم للأول .

وكاد الرجل الثانى يقتنع إلا إبليس أخذ يسر فى أذنه :

— كيف يأخذها منك . . وأنت أحق بها منه ١٩ أنت
ممتلئ الجسم وهو نحيف ، أنت قوى العضلات مفتول الساعدين
وهو خلو من ذلك . هو لا يمتاز عنك إلا أنه حسن الطلعة
وسيم . .

قل له احضرها أمامك فإن قبلت فما أنا بمخالف :

وجاءت المرأة

فرأت عرشاً عظيماً وملكاً جالساً قد اشتعل رأسه شيباً
وخط القدم على قسبات وجهه آى الضعف ، والاضمحلال .
وما كادت تستقر بها القدم أمامه حتى سمعته يقول :

— باسمى حكمت بأن تكونى للأول . .

فقالت متجاهلة فى لهجة ساخرة :

— وما اسمك يا سيدى !!

فأجاب وقد بدا على وجهه الاستغراب : الحق

فابتسمت وقالت فى تهكم :

— أيها الشيخ المتهدم : لقد دالت دولتك . وضعفت قوتك .

فأنا لا أخضع لحكمك ، ولا أعترف بسلطانك فلست لهذا
أو ذاك .

فتجههم وجهه . واحمرت عيناه ، وصرخ فى وجهها :

— كيف تجرئين أيتها الخبيثة ، متى نزلت الى الدنيا ، ومن
الذى أرسلك اليها ..

فقالت في هدوء

— أرسلتني أمي ، وأصحبتي أخي الأوسط ، وأوصت
بنا إبليس

قالت ذلك والتفتت الى الرجلين قائلة :

— من أرادني منكم ، فليذهب الى ذلك الملك العظيم فان
حكم له بي كنت له .

وساروا ثلاثتهم ، وتبعهم الجميع بايعاز من إبليس ليروا
ما سيكون من أمر هؤلاء

ومثل الثلاثة أمام ملك في عنقوان شبابه ، تلوح عليه سماء
القوة والبطش ، والاستبداد بالامر ، وقال كل من
الرجلين قصته :

وفي عظمة وجبروت فاه الملك

« باسمي حكمت بها للثاني »

فغلى الدم في رأس الرجل المغلوب على أمره « صاحبها
الأول » وقال بصوت الغضب :

— وما اسمك أيها العاقي الغشوم ؟ ؟

فغضب الملك واهتاج في ثورة عنيفة ، وأمر بدق عنق
الرجل لجرأته على الدفاع عن حقه ، ولم ينسه غضبه أن يجيب
عن اسمه : « القوة »

وعظم سلطان القوة فاستبدت بالناس ؛ تذل الضعفاء وتعز
الأكوياء ... وسار العالم تحت راية هذا الملك حقبة من الزمان
فيها الفوز لمن كانت له الغلبة

— ٤ —

قال الابن الأصغر - لأمه - وقد بلغ أشده :
- أماء .. لقد مضى أخواي من زمن وما إخالها إلا
بحكم الناس يستمتعان .. فهل حان دوري ؟؟
قالت الأم : لقد حان دورك يا بني ، ولكنني أخشى عليك
إن أنت أردت منازعة القوة سلطانها ، تقهرك بما لها من بطش
شديد ، ولا تستطيع أن تؤسس دولتك وتبني مجدك ...

قال : في مقدوري بشون كبير عناء
قالت : أفى عزمك أن تسلك الخطة التي سلكها سلطان
القوة ؟ ؟

قال : ولم لا ؟ ؟
قالت : هذا ما أخافه عليك . فإن لأخيك ثورة جامحة لا
يمكن أن تهدأ إن أنت أردت أن تنال منه ذلك ... وما هو

كأخيك الحق الذى سلم عند ما أمرت بنزول المرأة — التى
هى عدوه اللدود — لتمثل دورها ، ولم يرض بأن يجمع
بينهما ميدان

قال : لاسكن خطة أخرى وما إخالها إلا ناجحة

قالت : وما هى ؟ ؟

قال : سأستخر القوة بادیء ذى بدء ، حتى يستتب لى الأمر
ويرى الناس ما لى من مزايا ، وما أتحملى به من صفات

قالت : ولكن يا بنى : ما الذى سيشعر الناس بوجودك
فلو لم تكن المرأة هى التى أشعرت القوم ، بأن هنالك شيئاً يسمى
القوة ، وأنها هى لا تكون إلا فى جانب القوى لما عرفوا أخاك ،
ولا اهتم به أحد . . .

فابتسم الابن وقال : أماء : أنا ابنك العزيز المدلل ، فهل
نسيت ما لى عليك من دل . . وأنت التى تعطين ثيابى برائحة
مخصوصة لكثرة حبك لى ؟

قالت : أجل يا بنى . . أنت أعز أولادى ، ولم أنس ما
أطيبك به من عطور ، فأنا التى اختلقتها اختلاقاً وانها
لكفيلة بأن تسكر من يستنشق عبيرها برياًها العطر وإنها
لميزتك الخاصة

قال : هذه هى التى ستشعر بى الناس ، وترشدكم الى مكانى ،

وكما لا يفوتك أنك ألبست ابتك ثوباً من أهم أوصاله التلون ،
فإن المرأة ولا شك ستكون أكبر عون لي ، في مد سلطاني على
العالمين ، وفي وقت يسير

فأعجبت الأم بقول وليدها وقالت :
— انزل إلى العالم يا بني ، ولا زلت أوصيك بالألا تحاول
أن تسلب أخاك سلطانه مرة واحدة كما فعل هو بأخيه ..
وقبل الابن أمه ، ووعدته خير المساعدة ، ونزل ليمسك
بصولجان الوجود ...

— ٥ —

ملاً عبيره الجو ، ولمع بريقه في الأفق ، وتصاعد رنينه إلى
عنان السماء ، فاشتم ابليس العبير ، وأخذ بصره الوميض
واللعان ، واستهوى سمعه الرنين
أخذ يحدق البصر ، ويدقق النظر ، حتى عرف مصدر
البريق فهرع نحوه ، وهناك رأى ما أذهله ، وجعله يفغر فاه ،
ويقف حiale مشدوهاً
رأى أكواما من الذهب متراكمة فوق بعضها : وبعد برهة
تنفس من أعماق صدره وقال :

.. هذا هو المال .. هذا هو الذي سيقرب نظام العالم على
عقبه .. هذا هو الذي ستقام له المعابد دون ريب .. هذا هو

الذى ستعبد به المرأة والناس من ورائها بجود ..

وأطرق هنيهة ثم استطرد يحدث نفسه .

لو تركته وشأنه فلا ريب أن القوة ستستولى عليه تصغر
من قيمته ، وتذهب ما سوف يكون له من سلطان فلا تستول
عليه وأدبر أمره بنفسى

وعاود الاطراق برهة قصيرة وأردف يقول :

ولو بقيت بجواره لقتلنا الدهر جلوساً دون أن يشعر بنا
أحد ، وهنا يكون مصيره العدم ، ومصيرى الركود والاهمال
فلا تشعر به القوم وأرى ما عساهم يفعلون

وراح يقذف بقطع من صفائح الذهب في الهواء ، فتساقط
فوق بعضها ، فتحث رنيناً يستهوى الأئدة .. وسناؤه تحت
أشعة الشمس المتساقطة يشع فى الافق بريقه ولمعانه

ردد الصدى الرنين .. ولمع فى صفحة الافق البريق ..
وكانت المرأة جالسة قلقة تفكر ..

« الحياة أمامها تسير على وتيرة واحدة ، وليس فيها من
جديد يجعل النفس تستسيغها .. وكيف أنها أخذت تتبرم
بسلطان القوة : وتمقت نظمه ودساتيره التى يسير عليها العالم »
وبينا هى محمقة يبصرها فى الفضاء ، تسبح فى لجج أفكارها
إذ لمحت الوهج اللامع ، يتألق فى صفحة الافق البعيد ، وطرق

سمعها ذلك الصوت الجميل .. صوت رنين الذهب .. ١٩
أخذت تتلفت حيرى .. تفتش عن الجهة التي يصدر منها
ذلك الوهج الخاطف ، والوميض الشديد ، وترهف السمع عليها
تتبين : من أين يحمل الأثير لمسمعها ذلك الرنين :
وأخيراً أمكنها أن تهتدى

وما كادت تشرف عليه ، حتى رأت إبليس يقوم بتلك
العملية التي أخذ على نفسه عهداً بأن يشعر بواسطتها العالم
بهبوط المال إلى الأرض ليحكم فيهم بدوره
وقفت حياه برهة صامتة ساكتة فلم يعرها أى انتباه ،
وهو يجد في عمله .. وأخيراً قالت :

— ماذا تصنع يا إبليس ؟ ؟
فأجابها دون أن ينظر إليها وبغير اكتراث :
— أصنع ما قد ترين

فابتسمت في إغراء وقالت في دل : أنا لا أراك تصنع شيئاً
فأجابها وهو يواصل العمل : اذن فأنا لا أصنع شيئاً

— ولكننى أراك تقذف فى الفضاء بصفائح صفراء . وكأنما تلهو
فتوقف عن العمل ونظر إليها شزراً وقال :

— أنا لا ألهو ، وإنما أقوم بواجبى نحو من أسلم إلى قياده
ووهبني من قوته وعزته ، وسلطانه وعظمته ، ما أستطيع

بواسطته أن أتحكم في العالم ردحاً من الزمان
— وهل تثق بأنك ستقوم بهذه المهمة خير قيام ؟؟
فقال في تهكم : أظنك أنت التي تستطيع القيام بها خيراً
منى ؟؟

فقالت وقد بدا عليها الغرور : وهل في ذلك ريب ؟؟
فاحتاج ابليس قليلاً وصرخ فيها قائلاً : أما زال الغرور
يسيطر على مشاعرك ؟ متى يفارقك ؟؟ اغربني عنى فأنتى لا أحب
أن أراك بعد الآن

وفي شبه وعيد قالت : ألا تدعن ؟؟
فأجابها في سخرية : كلا إن أذعن ، وخير لك أن تذهبي
فلست الآن ممن يضيعون الوقت سدى ..

فتثنت وتلوت وقالت مستضعفة في اغراء وفتنة :
— تخل لي عن منصبك فأنا أقدر منك على القيام بأعبائه
فقال وقد زاد احتياجه : اغربني عن وجهي أيتها اللعينة
فقالت محذرة : تندم !

— وعلام الندم ما دام أجل شيء في العالم في يدي ؟؟
— ألا تخضع ؟؟

ففقده ابليس بصوت عظيم ملاً ما بين السماء والأرض
وقال : تريد حواء أن تخضع ابليس فيا للعجب !!

فقلت وقد صدق وعيدها : سوف اغتصبه منك بالقوة
فقال وقد احتدم غيظه : اذهبي وإلا مثلت بك

وراحت المرأة غضبي
وجمعت أشداء الرجال !
وجاءت أمامهم حتى وقفت بالقرب من ابليس وقامت
كالخطيب في يوم الخطب وقالت :
من أراد أن يستمتع بي فليحضر لي بعضاً من ذلك الأصفر الرنان
فهرعوا جميعاً إلى ابليس
وما رأيهم ينحدرون نحوه حتى صاح فيهم : قفوا .. إلى أين
- اليك إلكي يأخذ كل منا بعضاً من هذا .. (مشيرين
إلى الذهب)

فقهقه ابليس وقال : بأي حق تأخذون ؟ لقد أردتم محالاً
فقالوا : بالقوة

وهموا بالهجوم على أكوام الذهب المتراكمة ، فأمسك
بأثنين منهما وقذف بهما الجميع ، فولوا هاربين ..

قالت المرأة : أما استطاع أحدكم أن يغتصب منه بعضاً
بالقوة ؟ ؟

— كيف وقد أمسك باثنين منا وقذف بهما الجميع ؟ ولكن
ما قيمة ذلك الأصفر الرنان في نظرك ؟؟
— ما قيمته ؟؟ ألا تعلمون بأن الحياة لا توصل باباً من
أبواب فراديسها وجنات نعيمها في وجه من يستمد منه بعض
السلطان ؟؟ إنه ابن الحياة الأعر — إنه المال : والمال كل شيء
في الحياة

— وما الحيلة إلى الوصول إليه ؟؟
— أرى سهيلاً !
— وما هو ؟
— لينذهب إليه من أرادني ، ويطلب منه أن يعهد إليه بعمل
وينقده أجره عند الانتهاء منه

وذهبوا إلى إبليس
وعهد لكل منهم بعمل قضى فيه طيلة يومه
وفي النهاية أعطاهم أجورهم .. إلا أنه أعطى بعضهم أكثر
من البعض الآخر ... فكانت المرأة في جانب من في يده
الكثير

وفي اليوم الثاني طلب هؤلاء الذين نقدوا الأجر القليل
أن يزداد عملهم على أن يزداد في أجورهم ، فأجيبوا إلى طلبهم فكانت
المرأة في جانبهم ..

وهكذا أخذ المال يستبد بالقوة ويستخرها ، وإبليس يحكم
التصرف ، حتى عظم شأنه ، تركه يحكم بنفسه . .

وسار العالم أجمع وكل يكدح من أجل المال
وسيطر سلطانه على القلوب والنفوس والعقول والأفكار
وبلغت الدرجة ببعض الناس أنهم كرسوا حياتهم لجمعه
دون تصريفه ، متلذذين بالنظر إلى وهجه اللامع في خزانهم
حتى يدركهم الموت دون أن ينفقوا منه درهما واحداً
ومنهم من ألهاه المال عن الأهل والأبناء ، والخلائق
والأصدقاء ، واختل بنفسه وبالمال كأنه يتعبد . . يقطع النهار
داحاً ، والليل مفكراً ، في كيفية الحصول عليه
ومن برم بذويه ، وصاحبه وبنيه ، عند مارأى المال يمدده
بعض عزته وقوته

— ٦ —

ولما جاءت الحياة تحتضر ، جمعت أولادها حولها ، وأخذت
تقول مشيرة للحق :

« أنت خالد يا بني ، رغم ما عانيت في الحياة الدنيا ، ورغم
تلك السنين التي قضيتها مريضاً فوق مهدك بين أهلك القليلين »

ثم التفتت للمال والقوة وقالت :
« أما أنتما فمصيركما الفناء مثلى »

في دار الخلود

جلس الحق على سرير الملك ، والناس من حوله فرحين
تتألق على ثغورهم ابتسامات الرضا والبشر :
وأول كلمة فاه بها الملك :
« فى الحياة الدنيا ، قهرنى المال ، وسخرت بى القوة ، ولم
تلبث أن تغلبت على .. إلا أننى خلدت وقد فى الاثنان »

حكمة بالغة فى هذا الزمان
« يقهر المال الحق ويسخر القوة »

عبد اللطيف كير

أغسطس

شهر الفواجم ، والنوازل ، والمآسى
شهر به يطغى ، ويقسو كل قاسى

— ١ —

قالوا : أغسطس ..!! قلت ما هذا النداء
فأجابنى صوت يجلجل فى الفضاء ..!
ملك ظلوم فى زمان قد خلا ..
خضعت له الرومان والقوم الأولى
كانوا جبايرة عصاة .. شامخين !
أبطال ذاك العهد .. عهد الأولين
جبروته ، وجلاله ، جعل الأنام
يدعون شهراً باسمه فى كل عام ...!
شهر الفواجم ، والنوازل .. والمآسى
شهر به يطغى ، ويقسو كل قاسى !

نيرون .. من نيرون ؟؟ جبار عنيد
فلأنه لأغسل القامى حفيد
جرت القساوة والشراسة فى دمائه
فتخيل الدنيا جميعاً من إمامه ..
وهو المهيمن فوق أعناق البشر ..
يعلمهم ما شاء من خير وشر
وعليهم تقع المصيبة إن غضب
وإليهم يهب السعادة إن طرب

وأحس يوماً بين جنبيه .. حزن
وبحزن عاتية كذا لا تستهن
ماذا يبدد حزنه ؟ .. غيد حسان ؟؟
بشغورهن تلاًل الدر الجان ..
إن يبتسمن يضنن ديجور الظلام
أو يكتبن .. فما الحياة سوى جهام .

أم روضبة فيحاء فيها للزهر
دولات حسن .. ريحها حلو عطر

إن مسها نسيم جرى عند الأصيل
مالت ترف .. زهورها تسبي العقول

أم أكؤس الراح .. وللراح فنون !..
تجلو الأسي .. أم ماذا يا ليلى يكون

لا الغيد يا ليلى ، ولا الروض البهيج
لا الدر من خلف الثغور .. ولا الأريج
حتى ولا صافي الحيا في الكؤوس !
فيها الشعاع سرى .. بمذهبة العبوس
من نفس طاغية وجبار غشوم !..
ملك تغطرس .. فهو سفاك ظلوم
في رأسه نار الشراسة تضطرم
وبنفسه الشر المجسم قد جثم !..
ماذا إذن يا ليل .. ؟؟ هلا تعلين ؟؟
لا شيء غير صراخ قوم يحرقون
بشر بنار الظلم يلقون الحمام !..
هم أبرياء وإنما صاروا حطام !
لجحيم نيرون المؤجج باللهب !!..

روما الآتون ومن بها مثل الخطب
إذ أشعل الطاغى بها نار السعير !
ليرى العذاب بناره .. فيرى السرور
لما يذف الريح أصوات الأتئين
تسرى كأنغام يقطعها الحنين .. !
وتسيل من قلب يمزقه الألم ..
من عاشق .. من والد .. من قلب أم
تخشى على أبنائها غول المنون
بأتون نيرون .. وما أقسى الآتون
فالشيب ، والشبان ، والنشء الصغار
يرجون أن ينجوا .. ومن أين الفرار ؟

والنار أهلكت الجميع ولم تذر ..
لحمًا ولا عظامًا .. ولا دم ينحدر
بل أحرقوا ، والله ينظر من علاه
نيرون يبسم بهجة .. ماذا جناه ؟
لا شيء غير قساوة من جده ،
نادته — لى أمرها — من لحده !

— ٣ —

شهر المآسى ، والفواجع ، والنوازل

شهر - لحاه الله - بالآلام حافل
إنت تقرئى ياليل تاريخ الأمم !
ما فيه ياليلاي من حزن وهم !
وحوادث كبرى لها شأن عظيم
هى فى أغسطس كلها كانت تهيم !

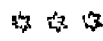
فقدت به مصر العزيزة سعدتها
وتسربل النيل السعيد . . ومن بها
من فتية يرجون مجداً للبلاد
بالحزن ياليلى . . وأثواب الحداد

شهر به الآلام تتزع « الأنين » (١)
من قلبى المكلوم . . ياليلى الحزين !
وبه جرت ياليل أنهار « الدماء » (٢)
ودماء من ياليل غير الأبرياء ؟
دمى المهراق وأنت من لى قد قتل
وقسوت ياليلى فهدمت الأمل . . !

(١) الرسالة الأولى للمؤلف وقد صدرت فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٤

(٢) « الثانية » « » « » ١٥ « سنة ١٩٣٥

فيه توارت كل آمالي . . العظام . . !
وتهدمت نفسي . وغشاها الظلام
وبقيت حياً ، في الحياة بلا رجاء
ماذا الحياة إذن ؟ ؟ أليست في عناء
تمضي — في الأيام — في ركب بطيء !
في دجنة دكنا . . لا أمل يضيء
فالنور يا ليلاي طارده الغسق
والنجم غاب . . وقد خلا جو الأفق
من كل نبراس عليه أهتدى . . !
بين الحياة . . وفي الظلام السرمدي



ليلي . . وداعاً يا حياة ويا أمل
أهلاً بموت جاء تحدوه العلل !
فالي الفناء تسير يا ليلي القدم . . !
إني سأقضي بين أنغام الألم . . !
لا تسكبي دمعاً على صب حزين
يقضي كما يقضي جميع البائسين . . !
بين « الدماء » وبين أصوات « الأنين »
ليلاي . . يا ليلاي . . هلا تذكرين ؟ ؟



— مرغريت .. أهواك .. !!

نظرت إليه يملج قبلة على يدها .. وثغرها يبسم ، دون أن
تتكلم .. وعينها تنطق بكين الهوى .. !!
وعاد يرفع إلى وجهها المشرق ، أحداقاً مائة .. !
واستطرد الدوق دى كيز :
— أتحييننى ؟؟

قالت بصوت رقيق ، كتغريد البابل :

— وهل يخفى ما فى القلب يا أميرى ؟؟

فراح يمرغ رأسه على صدرها ، ثم زم شفتيه ورفعهما ،
ومالت هى برأسها حتى تلاقت الشفاه .. وكانت قبلة طويلة
معسولة .. سكر بخمرها الحميدان .. !!

كان ذلك فى أصيل اليوم الأول من شهر أغسطس عام

١٥٧٢ .. إذ كان الدوق دى كيز جالساً وابنة عمه ، الأميرة
مرغريت ، أخت الملك شارل التاسع .. وابنة الشيطانة الشرسة ،
كتين دى مدسيس ملكة فرنسا .. !
وكان الجو صافياً ..

وكان مجلسهما مطلاً على نهر السين .. وهما يرقبان تسلسل
الماء "ت الشرفة" ، بين ضفتي الجدول العظيم .. !
وانتبهتا فجأة على صوت رشاش الماء تساقط من مجاديف
زورق يدنو من الشرفة .. !

ووقف به فتى فى ثياب الفرسان .. وأدى التحية للدوق
الذى عرفه عند ما رآه .. فأطل إليه ..
قال الفارس الصغير :

— يريدونك يا مولاي .. !

قال الدوق — انتظر .. ! !

وانبرى لفتاته .. وقبلها .. قبله مصدراً لها القلب ..
وطريقها الشفاه .. وإن هى إلا رسالة تحمل أقدم شعائر
الحب ، وآى الأخلص .. ! !

... .. . وبعد برهة كان
الزورق يتعد عن أسوار اللوفر .. وفيه الدوق والفارس الصغير ..
ومرغريت ترسل ببصرها فى أثرهما مشبعة .. وفى عينيها

الحالمين بريق جميل .. ما هو إلا انعكاس أشعة النفس التي
امتلاّت بنور الحب .. !!

هذا العهد .. عهد السم والخنجر والدسائس .. !!
هذه هي الجملة التي كانت تتردد على فم كل ذى إلمام بشؤون
عصره .. نابه الفكر .. إذ كان الملك شارل التاسع ملك
فرنسا ، ليس له من الملك إلا صورته .. ومقاليد الحكم ..
ومتاعبه ، ملقاة على كاهل امرأة .. هي أقدر من عرف التاريخ
من النساء .. حية رقطاع ، غادرة أثيمة .. تلطخت يداها بدماء
الآبرياء .. تلك المرأة : هي كترين دى مديس .. أم الملك .. !
وكانت فرنسا منقسمة إلى طائفتين .. طائفة الكاثوليك ..
وهؤلاء حزب الكنيسة الذي تساعده كترين وتعضده ..
ويتزعمه الدوق دى كيز ، الذي هو عونها الأكبر ، وابن عم
الملك .. وحبيب مرغريت .. !!

وطائفة البروتستانت أو الهيكنوت .. وهي طائفة تعدها
الطائفة الأولى معادية للكنيسة ومخالفة لأوامر البابا ..
ويضمرون لها أشد العداة ، ولا يودون لها إلا كل إذلال ..
وكان زعيمها الأميرال كوليني . يعضده الملك هنرى دى نافار
« ملك النافار » وهو ابن عم الملك شارل التاسع أيضاً .. !!

ووصل الدوق إلى حيث ينتظره ، رؤساء الطائفة . . الكهنة .
والقساوسة . . والرهبان . . اجتمعوا يتشاورون في أمر
الپروتستانت . . .

قال الدوق لرجال الكنيسة :

— تعلمون أن الملك ، يعطف على هؤلاء الناس الذين
خرجوا على مذهبنا . . وعلى مذهب البابا . . وأنا أعتقد أن
من يحيد عن شريعة البابا لا ديانة له . . وإنا لا نستطيع أن
نرى الملك يقف في وجوهنا ، يصدنا عن الفتك بهذه الطائفة . .
أوردهم عن خطتهم التي يتتهجون . . .

لقد وجبت مطاردتهم . . فلتستحثوا الناس على مضايقاتهم . .
وعلى التحرش بهم . . .

فرددوا في صوت واحد :

— أجل . . وجبت مطاردتهم . . وإنا بأمرك فاعلون !

وخرج الدوق وهو يقول :

— إن موعدنا لقريب . . . !

... .. واستأذنت كاترين على ولدها . . .

في حجرة العرش . . وقالت له :

— أريدك منفرداً . . .

فأذن لجميع من في حضرته بالانصراف . . . وخلا المكان
إلا من الأم وولدها . . .
قالت كاترين :

— أيرضيك يا بني ما عليه البلاد من حال سى . . . ؟
قال : ومتى رأيتني راضياً عن ذلك يا أماء . . . ؟
لأفارق لمنظر الدماء تهدر عبثاً لخلاف تافه بين طائفتين كل
منهما تعضد مذهباً . . . وتنتصر له . . . !

— وهلا ترى معي يا شارل أن البلاد أمانة في عنقك . .
وإرث واجب عليك حفظه ورعايته حتى تسلمه لخلفائك من
بعدك مزدهراً قوياً . . . ؟

قال الملك . . . : ومتى رفضت ذلك . . . ؟
السلام . . . وطالما نشرت الأمر تلو الأمر ، بفض المنازعات
ومنع الخصام . . . ولكن أعوانك هم الذين أغرقوا في الفساد . .
واسترسلوا في خططهم غير هيايين . . . مستهترين . . .

وشارت نفسه فقال مستطرداً في صرامة :

غداً . . . سيعلم الجميع من الحاكم . . . أنا أم هم . . . وسوف
أزج بهم جميعاً في الباستيل . . . وسيعلم الظالمون أى منقلب
ينقلبون . . . !

فاصطنعت الأم الماكرة بسمة وقالت :

— أعوانى ؟؟ .. إن أعوانى لا ذنب لهم ولا جريرة
قال — وكيف .. ؟؟ .. أولم يقوموا فى الكنائس يحضون
الناس على المذابح والثورة .. والتسكيل بالهيكوت .. إن لكل
إنسان عقيدة ومذهباً .. حق له أن يراعها .. ويعيش تحت
رايتها .. إنكم أفسدتم الأمن .. وأضررتم بالسلام .. حتى
بت أنا الملك مهددا فى قصرى !! .. !

قالت فى هدوء :

— إن الذى يراك الساعة يشارل يظنك مغضباً على أمك !
هدأ ثأره .. وقال وكأنما قد استخزى :
— عفوا يا أماه .. فما قصدت من هذا شيئاً غير أن هؤلاء
القوم كادوا يقتلوني غيظاً .. !! !

— إنك واهم يا بنى .. فلم يزل السلام ناشراً رأيت ..
والأمن يسود البلاد ، وما جئت الساعة إلا لأعرض عليك
أمراً .. !! !

قال — وما هو .. ؟؟ ..

قالت : ما أنا يا بنى من أبطال العصور الوسطى شغوف
بالحرب .. طموح إلى المذابح والمعارك .. وإتنى لأخشى
انفجار بركان الضغينة بين الطائفتين .. فىكون الأمر لا تحمد

عقباه .. وإنتى لأرى أن اخضام قد استفحل أمره .. وساءت
سبيله ، وليس بد من أن نعمل على التوفيق بين الطائفتين ..
أو نعمل على إخماد هذه الروح ، حتى أراك سعيداً يا شارل ..
فان من واجبي كأم أن أرعى حقوق أولادى . وأسهر على
راحتهم ، وأعمل على إسعادهم ! ..

أرى يا شارل أن الهيكوت كلها أضعفنا شوكتهم فى ناحية ،
اشتد أزرهم فى ناحية أخرى .. ولا سبيل لبلوغ السلام إلا
بالاتفاق مع زعمائهم . وجعلهم حلفاء لك
قال الملك :

— وما السبيل إلى ذلك ونحن الذين دفعنا بهم إلى عدائنا
وما كانوا لنا معادين ؟ .. !

قالت : الأمر سهل .. ! فما ترى فى الأميرال كوليني لو عقدنا
له الأمانة على رأس جيش وأرسلناه به إلى هولندا لحماية
أتباعه من بطش الدوق دى إلب .. ؟ ؟

قال — إنه يلقى الأمر بالشكر والامتنان .. ولكن أخشى
أن يثير علينا ذلك الأسبانيول . ويجر علينا حربهم
قالت : لا يا بنى ، فأنا أعرف كيف أجعل أسبانيا لا تغضب
لذلك ! .. وبأبعاد زعيمهم يتفرق جمعهم وتضعف شوكتهم ..
قال — وهى أن الاسبانيول دعونا إلى حرب بأسباب

ذلك . . فانتى لأعتقد أن الحروب على الحدود أسلم عاقبة . .
وأقل خطرا من الحروب الداخلية . . !

قالت — سنعتقد لذلك مجلساً نتشاور في شأنه . . . ! . . .
. . . بقى علينا يا شارل أن نعمل على صداقة العضد الأكبر
لهم . . وهو الملك هنرى دى نافار . . !

قال — هذا الذى دفعناه لعدائنا قهراً عنه . . وما كان يوماً
يفكر أن يكون لى خصماً . . ! !

قالت : سأجعله يا بنى لك أخاً شقيقاً بعد ما أفسد الخصام
ما بينكما . . !

قال : وكيف . . ؟ ؟

قالت : ماذا تقول فيما لو زوجته بأختك مرغريت ! !
انفجرت أسارىره . . وتهلل فرحاً وقال :

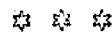
— وهل ترضى بذلك مرغريت . . ؟ ؟

قالت : إن أختك طيبة القلب . . كريمة النفس ، يرضيها
ما تسعد به ، ولا تتعارض رغباتها ومصالحك يا شارل ! !

قال : أمأه . . إتنى أكاد أجن سرورا لو كان هذا حقيقة . .
إتنى لأحلم بيوم أرى فيه الهدوء والسكينة والسلام . . ترفرف
أعلامها على فرنسا . . ! !

ولشدة سروره ، عاودته النوبة العصبية ، فأغشى عليه . .

ولكنها لم تطل فما لبثت أن فارقتة ..!!
قال الملك : انظري يا أماء كيف أن السرور أثر في نفسي؟؟
قالت : اطمئن يابني ، وألق كل متاعبك على كاهل أمك
.. واعتمد على أنا أنجيك من عاصيب الأمور ..!!
وإنتى لآخذة في المداولة بشأن هذا الزواج ..!
وهمت بالخروج فاذا بالملك يقول :
— ولكن .. هل ترضى أم هنرى دى نافار بأن تكون
مرغريت زوجاً لابنها ..؟؟
ضحكت باستخفاف قائلة :
— إنها تعد هذه المصاهرة شرفاً ، ونفراً على مر الزمن !!



.....
..... ٩٩!!٩٩

— مرغريت .. ما بك ساهمة ..؟؟
ربت على خده ملاطفة .. وانحنيت مقبلة جبينه تقول في
صوت حنون فيه شيء من التأثر :
— لا شيء يا أميرى ..!!
قال الدوق : إني ماعهدتك كهذا اليوم .. تبدين كالمحزونة
كأن جديداً يعكر صفاء نفسك ..!!

قالت : لا شيء . . .
وأشاحت بوجهها عنه ، لكي تجفف عبرة . . تجمعت
في جفنها الناعس . .

وتابعها بنظره — فراها تبكي . . . !

قال : أتبكين . . ؟ ؟

قالت : اخفض صوتك . . وهدىء من روعك . .
فالأمر بسيط لا يستحق اهتماماً . . . !
— ليس بكأؤك لأمر هين . . !
— ؟ !

— ماذا يا مرغريت . . ؟ نبئيني . . !

قالت مرغريت :

— لم تجد أمي ثمناً تدفعه لخصومها لكي تهدىء اضطراب
الطوائف . . إلا أنا . . !
— ماذا تقصدين . . ؟ ؟

— لقد اتفقت هي وأخي شارل على زواجي من هنري
دى نافار لقمع المشاغبات . . واستتباب الأمن . . ونشر
السلام . . بانضوائه تحت جناحهم بالمصاهرة . . !
قال وقد كبر في عينه الأمر :

— محال . . ولن يكون سلاماً ما هذا ثمنه . . !

قالت : قضى الأمر يا دوق ، وليس لى أن أعارض أمراً
هو فى سبيل التاج « فمصلحة فرنسا يجب أن تقوم على أنقاض
قلبي .. وتروى بدمعى .. وإننى لأضحى بدمعى .. بفؤادى ..
بكل شىء فى سبيل الوطن !! ..

وارتجف الدوق ، عند ما سمع كلمة « الوطن » من فم
مرغريت .. امتزجت بحنان ووطنية .. يغشيهما الألم !! ..
.....
غاضباً ، يزار ويزجر .. وقد أضمر فى نفسه أمراً !! ..

وبقيت الأميرة حائرة .. يؤنبها ضميرها على تصريحها له
خوف بطشه .. فقد كان بيده كل شىء .. وليس للملك مثل
ما له من السلطان والنفوذ .. فهذا متربع على عرش المملكة !
والدوق متربع على عرش نفوس الأغلبية !! ..
ولقد كانت حاله ساعة خروجه لا تنبئ بخير أو سلام .. !

واضطربت نيران الحقد والضغينة بين جنبي الدوق
دى كيز .. وعقد النية على شر انتقام !! ..

وجمع رجال الكنيسة .. وراح يقذف بينهم بكلمات من
نار .. ويستحثهم على البطش والتكيل بالهكنوت .. وأول
ما يطلبون رأس الأميرال كولبنى .. والمملك هنرى دى نافار !! ..

وكان كلما استشاط في كلامه وغضبه . . امتلأت نفوسهم
يقينا . . ثم راحوا يعدون العدة والعديد . . !!

ها هو ذا المساء قد نشر جناح الظلام فوق ربوع باريس
وهناك بعض رجال الكنيسة يتجولون في الشوارع . . ويضعون
علامات مخصوصة على منازل البروتستانت . . إنذاراً بوقوع
الكارثة

وبينها هؤلاء يقومون بهذه المهمة . . كان الفرسان يشحنون
سيوفهم . . ويختبرون خناجرهم . . !
واللوفر ؟ ! . .

كان يفتح أبوابه على مصراعيها . . والموسيقى تصدح في
فنائه ، فتملاً الجو سحراً . . والأضواء تتفجر من جوانبه فتكاد
تعيد رائحة النهار . . لقوة سطوعها . . !!

وهاهم أولاء الأمراء البروتستانت ، والزعماء . . يفدون على
القصر لحضور حفل زفاف الأميرة مرغريت إلى الملك هنري
دي نافار . . !!

والكل غارق في السرور . .
والملك شارل يمني نفسه بالهدوء الذي بنى دعائمه على هيب
ثورة في قلب أخته وحبيبها . . وبالسلام الذي أقامه على أنقاض

سعادة الحبيبين .. وبالسكينة التي يتخذ لها ثوباً وستاراً من
عاصفة في نفسيهما ..

وكأترين .. تعد ذلك ظفراً ونصراً .. فالיום ينضوى
هنرى دى نافار .. خصمها الأكبر .. وعدوها الألد ..
ينضوى تحت لوائها .. وغداً .. ستعقد للأميرال كوليني
راية الأمارة على رأس جيش تبعده به إلى هولندا
إذن .. فقد ضمنوا السلام ..

ولكن .. ولكن .. أما علموا أن هنالك عيناً لا تغفل
وسط هذا الليل البهيم .. وأن إنسانها يلتهب غيظاً وتضطرم
بين أجفانها نيران الانتقام الذي يتفجر لهبه بين جنبي صاحبها
تلك العين .. هي عين الحبيب الثائر .. الغيور المنتقم ..
فها هم أولاء أتباع الدوق دى كيز يعدون العدة تحت جناح
الظلام الدامس .. ويربصون إلى حين ينتصف الليل .. !!
فالحناجر في المناطق .. والسيوف مشحوزة في أغمارها ..
والغدارات محشوة بالرصاص .. !
والكل في انتظار أمر يلقي إليه .. !!

وانتصف الليل .. !!
ودقت أجراس الكنائس ، في صوت حزين دام ، لم يزل

يتحدث به الأبد إلى الأجيال بلسان الصدى .. وكأنما كانت
رناتها تؤلف صوتاً ينطق ويقول :

— اقتلوهم .. اقتلوهم .. اقتلوهم !! ..

وكان ذلك إيذاناً ببدء المعركة ..

فما كادت الأجراس تقرر حتى انطلقوا كالسيول في
شوارع باريس ، وخناجرهم مشحذة في أيديهم تطلب صدراً
پروتستانتياً لكي تغمد فيه إلى أجل قصير .. !!

وإلى اللوفر .. ذهب جحفل يريد الأميرال كوليني ..
وهنرى دى نافار .. !!

ودخلت العروس على زوجها فزعة مروعة تقول :

— مولاي .. يجب أن تهرب الساعة .. !!

نظر إليها مستفهماً يقول :

أهرب .. ؟ ولم .. ؟ ؟

أنت في خطر .. !

قال .. ما كنت لأخشى غير أمك وقد اتخذت منها الحيلة

— ليست أمى .. وإنما الكاثوليك .. !

— ماذا بهم .. ؟

— الوقت ثمين .. إنهم يريدون رأسك .. !

فاتنفض واقفاً . . ووضع يده على قائم سيفه يقول :
خيانة . . !!

قالت : ليست كذلك يا مولاي . وإنما الشعب يصخب
ويزجر . . تعال معي . . .

وقادته إلى الشرفة — وقالت له . . : انظر . . !!

وكان الشعب يحاصر القصر والكل ينادى بحماسة :
— فليمت البروتستانت . . نريد ملك النافار . . اقذفوا به
إلينا . . نريد أن نقتله . . !!
وتراجع الملك هنري قائلاً :

— إذن وجب أن ندافع عن أنفسنا فليس للملك أن يهرب
قالت : من العبث يا مولاي . . فبمن تدافع أمام هذا
السيل الجارف . . ؟؟ ينبغي لك أن تهرب فتنجو بنفسك . . !!
إتبعني إذن . . !!

وسارت مرغريت من حجرة إلى حجرة . . وهو في أثرها
حتى وصلا إلى مخدعها . . بودها أن تخفيه فيه ، ظناً منها أنه
مكان أمين . ولكنها عرجت على غيره عند ما سمعت الثوار
يكسرون الباب الذي بجواره . . وراحت تدور به بين أبهاء
القصر وحجراته ، وليست بواجدة مخبأ . . إلى أن انتهى بهما
المطاف إلى . . شرفة الذكرى . . !!

تلك الشرفة التي كانت تجلس فيها الى الدوق دى كيز
« حبيبها » سر هذا الهياج العظيم
قالت مرغريت :

القي بنفسك في اليم . . . واسبح إلى الشاطئ واسرع
في الهرب . . . !

. وراح يسبح في الماء ، وإنه كذلك ، فاذا ضجة
وضوضاء ، وصياح . . ثم إذا بصوت يقول :
« كوليني » لقد وقع الأميرال . . !
وردد الصدى أصواتا في رهبة الليل :
— أذيقوه الموت . . !

فارتعدت فرائص الملك ، وكادت تخونه قواه ، ولكنه
ضاعف جهده . حتى وصل إلى الشاطئ . . وإذا بصوت يصل
إلى سمعه :

هذا بروتستانتى هارب . . !
لقد أحرق به الخطر . .

فها هو ذا فارس ينحدر إليه وفي يده خنجره . . وتحت
جواد أدهم . . يسابق به الريح . .
ولكنه تلقاه بشفرة سيفه فأرداه قتيلا قبل أن يمسه بسوء
وامتطى صهوة الجواد . . وولى الأدبار تحت جناح الظلام . !

ومر الليل ، وقد أتى الكاثوليك على جميع البروتستانت
الذين فى باريس وضواحيها ، من أمراء إلى نساء وأطفال .
وأشرقت شمس ٢٣ أغسطس ١٥٧٢ فبدل أن تلقى بأشعتها
على الأرض نشرت شعورها على جثث القتلى ، تريد أن
تنسج من خيوطها أكفانا ، تلفها بها ، فانغمست أطرافها فى
أنهار الدماء . . فتشربت حمرتها القانية وأودعتها الشفق عندما
غربت حزينة . لكى يسكبها الشفق فى جفن الأفق فى غروب
هذا اليوم من كل عام حزنا وحدا . . وإنذارا بالويل والفجائع
فله حب كان هذا انتقامه . . ! !

ملحوظة : هذه القصة تاريخية حقيقية الوقائع . . ولكنها موضوعة
غير مترجمة .





... لو انك أرسلت إلى المشرق نظرة تحقيق وتدقيق
في صبيحة ذلك اليوم ، لرأيت الشفق يسكب في جفن الأفق
قطرات من دم قان . . تسيل كالدمع فتصبغ أديم الأرض .. !
لم تكن الشمس قد أشرقت ، ولم تكن أسلاكها الذهبية
قد انبعثت من وراء الحجب ، لتكشف للعالم معالم الحياة جليلة
ولم يكن شيء من هذا قبل أن يغيم المشرق .. وتظلل سحابة
داكنة سوداء . . . إن هي إلا نذير شر . . سيجلل الأرض في
هذا اليوم المشئوم

وطلعت الشمس ولكنها لم تبسط نورها ككل يوم ..
وإنما من خلف السحابة الدكناء ، أرسلت أشعة هزيلة تضرب
إلى الحجرة القانية . . كأنها مزيج من الدم والضوء . . تسقط
على بعض مواضع من وجه البسيطة ، فتكسوها بدل الاشرار

والبهجة ، وجوماً وحزناً !! . .

ما هذه الحمرة القانية التي تصبغ المشرق وأشعة الشمس . .
إلا بقية من دماء الأبرياء ، التي أهرقت من عهد بعيد . . تعود
لتذكر العالم بهول هذا اليوم العصيب . . منذ القدم !! . .

إن عقارب الساعة تدور بطيئة ، في غير اضطراب . .
تحدد البقية الباقية من آجال شباب غض لم يكن قد نهل من بهجة
الحياة إلا قليلاً . . شباب هم فخر وادى النيل . . ونضرة أبنائه !! . .
إن الهول ليسيطر على النفوس . . والفرع يعم القلوب . .
فما من نفس إلا وتضطرب فرقاً ورعباً بين جنبي صاحبها . .
وما من قلب إلا ويخفق ذعراً في حنايا صدر حامله .

فها هي ذى « المشنقة » تعد أحبالها . . وتختبر اسطوانتها
لكي تبت في أمر بضعة رجال . . وتقطع بينهم وبين الحياة
الأسباب . . فتفصل بين الرأس والبدن !! . .

وها هي ذى الساعة الرهيبة قد دنت . . فقد ناحت ناعية
الزمن تعلن السابعة . .

وها هي ذى شرذمة من الجند . . تتقدم من حجرة في
سجن الاستئناف . . وكأنهم زبانية الجحيم !! . .
إن الباب ليفتح . . فكأن في صريه نبرة من صوت القدر
ينبئ من خلفه . . بانقضاء العمر !! . .

وامتدت أيدي الزبانية، إلى زهرة.. من طاقة.. هي في مستقبل
الحياة.. نضرة غضة.. لم تنعم ببرد الطل الذي تساقط عند
انبلاج الفجر.. ولم تنفس العطر الذي ادخرته عند المساء..
وأوصد الباب على بقية الصبح، ظلوا ينتظرون دنو
الأجل.. وتحقيق المصير..

وذهب الزبانية بمن اقتادوا، إلى حيث ألبسوه لباس الموت
وساروا به إلى حيث يلقي حتفه..

وكان العلم الأسود يخفق على سراي المحافظة ينشر في طياته
بين الهواء.. وكأنا يذيع خبر المصيبة في صمت وحزن..!!
كان الفتى «عبد الحميد افندي عنایت» وكان فتياً.. تمتلئ
نفسه يقيناً.. وروحه يطير محلقاً في سماء الوطنية.. وكان
كالزهرة في غار العصر.. ما كادت تذيع عطرها حتى طوحت
بها الريح.. في مهاوى الموت..

وتقدم الشاب إلى حيث تقوم المشنقة.. التي ستطفيء شعاع
الأمل من عينيه.. ونور الحياة من نفسه.. ولم يكن يفكر في
شيء.. ولم يكن مضطرباً.. فقد كانت قدمه ثابتة.. وكان
حافظاً لقواه مائلاً لحواسه وعواطفه.. كأنما هو قادم على
لا شيء..!!

وبصوت خال من كل اضطراب.. لا تخالج نبراته رنة

الخوف .. ولا اكتراث بالهول الذى سيحل به بعد دقائق
.. قال ..

— « أنا لا يهمنى شيء .. وقد قمت بعمل خير قيام ..
أنا لا يهمنى الاعداء ، إنا لله وإنا اليه راجعون .. رب ادخلنى
جنة النعيم »

ثم هوى .. وفاضت روحه بعد ثلاث دقائق .. وتلاشى
من الوجود شاب جرىء سجل بدمه نخر بلاده .. ! !

ولم تقف عقارب الساعة عن دورانها ، بعد ما وقفت
حركة الحياة بين جنبى هذا الذى ذهب ضحية .. وإنما أخذت
تدور لتحدد عمر آخر ، ما هو إلا كسابقه ..
ومرت أربعون دقيقة كانت هى البقية الباقية له دون
صاحبه .. وكانت هى كل ما حباه به القدر من طول العمر ..
أكثر من رفيقه .. وإن هى إلا برهة حتى أقدم الجند بشاب
يضطرب أمام منجل الموت الذى يدنو من عنقه .. ويهتز تحت
وقع ضربات معول الفناء يهد فى هيكل حياته هداً . وكان ينظر
للحياة بعين الراحل لم ينقح غلته .. وهو مقبل على قفر مجذب ..
ولم ينعم ، وقد اقتادوه قسراً عنه إلى حيث لا يدري أنعم
أم جحيم ..

وكأنما في نظراته نهم ، يريد أن يلتهم كل ما في الحياة من
لذة ونضارة ، دفعة واحدة .. يروعه شبح الموت .. ويغريه
حب البقاء .. فيذهب ذاهلا مضطربا كالعصفور الذبيح .. !!
ها هو ذا ماضيه يعود إلى خياله .. حافلا بالمجد والجاه ..
وبالعظمة والحياة الحق .. فتحدت دمعة على خده .. هي
وداع لكل شيء ..

وداع لشباب حافل بالمجد والاقدام ..
وداع لحياة زاهرة نضرة .. !!
وداع لأخت وحيدة ، يفقده ستفقد كل شيء .. وكل
نصير .. !!

وسمع الأستاذ شفيق منصور حكم الاعداء يتلى على
سمعه .. وهو صامت يضطرب .. ثم سئل عما يطلب ..
فلم يجب !!

ولما أحس بحبل المشنقة يطوق عنقه قال :
« يا حضرة الضابط ، عاوز أشوف أهلى .. يا باشا اعمل
معروف عاوز أشوف أختى .. أنا في عرضكم .. !! »
ولبث يبكي حتى سقط .. ومات بعد سبع دقائق .. !

ومرت أربعون دقيقة ، حلق أثناءها طائر الموت على رأس

شيخ ودع من سنى الغمر جلها .. ترك زوجه وأولاده ..
وأمه .. يكون فقدته .. وما إن شعر بحبل الموت يلف على
رقبته حتى أخذ يقول بعض ما فى نفسه . وهو شديد العزم ،
رابط الجأش ..

وسقط وتوفى بعد سبع دقائق ..
ذلك الرجل هو المرحوم .. ابراهيم افندى موسى !!

ومرت فترة الزمن ، تجر الدقائق بعضها بعضاً .. تقطع
بمرورها البقية الباقية من عمر الحر الغيور ، على افندى ابراهيم
محمد .. إلى أن اكتملت الأربعون دقيقة ..
وقال الرجل عند ما شعر بحبل المشنقة يطوق عنقه ..
بعض ما فى نفسه ..
ثم سئل إن كان عنده ما يقوله بعد ذلك فأجاب
فى هدوء :

« وهوه بعد المشنقة فيه شىء .. ؟؟ »
وكرر الشهادة .. وهوى هادئاً .. ولم يكن مضطرباً وتوفى
بعد عشر دقائق

وجىء براغب حسن ... وكان مضطرباً ، وكلامه مكرراً

مما يدل على الذهول الذى استولى عليه . . . وتوفي بعد خمس دقائق وثلاثين ثانية ! . .

ولما جرى بمحمود راشد افندى قال كثيراً . . . وكرر الشهادة ، ونفذ فيه الحكم . . وتوفي بعد ست دقائق وقد أظهر شجاعة فائقة . . وكان حافظاً لقواه . . ولم تفارقه ظواهر الابتسام ! . .

ولما جرى بمحمود افندى احمد اسماعيل . . قال :
— أنا قوى وشديد . . وليه العذاب بالأربطة ؟ أنا يمكنى أطلع المشنقة بنفسى ، فلا داعى للعذاب . . فين المشنقة دى . . ؟؟
اتفضلوا . . أنا دى على رأس الذى ظلمنى . . وأنا وجميع أفراد عائلتى ووالدى وابنى . . فداء لمصر . . فليسقط الظلم أينما كان . . الحمد لله . . أنا راض وشاكر . . أشهد أن لا إله إلا الله . . . وأن محمداً رسول الله . .

أشهد أنتى مصرى . . وأنتى وطنى . . وأنتى برىء
ونفذ فيه الحكم . . ومات بعد خمس دقائق . . ،
وقد أبدى محمود افندى هذا شجاعة خارقة للعادة . . وكان ثابتاً بشكل يدعو إلى الإعجاب الشديد ولم يظهر عليه أدنى أثر للخوف من الاعدام ! . .

وقد نوهت الصحف البريطانية بذلك . . . 11

وما آذنت الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى كانت صفحة هؤلاء التعساء . الذين صادقتهم قسوة أغسطس ، وعصفت بهم نحوسته . . قد طويت في سجل الأبد . . تحفظ في عرضها تاريخاً مجيداً هؤلاء الأجداد ، وأثراً سيئاً لهذا اليوم المشؤم . . . والشهر الأسود . . . !! (١)

(١) مصدر هذه الأقوال البلاغ الرسمي الذي نشرته المحافظة في مساء ذلك اليوم يتضمن أحوال المدومين الأخيرة . . وقد أعدموا بتهمة الاعتداء على سردار الجيش وكان بريطانيا . . وكانت الجناية مدبرة لاضعاف مركز الوزارة الوفدية برئاسة سعد زغلول باشا لكي تستطيع القوات الانجليزية نيل مآربها إجبارياً وقد أسفرت طلباتها عن .

سحب القوات المصرية من السودان

ودفع نصف مليون جنيه لأرملة السردار

وإعدام هؤلاء السبعة الذين جرى بهم متهمين بطريقة ملفقة . . .



غامت السماء ، واحتجبت الشمس خلف سحابة صيف ثلجية ..
فكانت كالغلالة على وجه العروس ، تغطيه ولا تحجب من أشعة
حسنه شيئاً

وأقبلت فتاة في عامها الثامن تسعى — في مرح
الطفولة الزاهية — إلى مجلس أبيها الذي اتخذه أمام الدار ،
وبين يديه طفلة الصغيرة التي قضت بين ربوع الدنيا ثلاثة
أربعة . يداعبها ويسامرها . . . يأخذ منها ليعطيها . . . يأخذ
من رقتها وخفتها . . . ليعطيها من عطفه وحنانه ، وبجواره
ولده ، جلس ليسمع دون أن يشترك في هذا الأخذ . . .
وهذا العطاء . . . !

وما كان الوالد ليحس بدنو ابنته من مجلسه حتى نظر إليها
مرسلاً من قلبه حبه وحنانه ، مرتسمين على شفتيه ، مصورين بسمته

فيها كل معنى من معاني الأبوة الحقة .. وبسط إليها يداً ليتقبلها
قائلاً :

— أهلاً بك يا عزيزة ... !

فانحدرت إليه .. يدفعها شعور رقيق .. شعور الأبنة نحو
أبيها ، وهل هنالك أدق منه .. ؟ وإحساس حبها له .. وما وجد
أشد منه وأقوى .. إنه إحساس يسرى في الدم ، فيلهب
العواطف .. !

ونفض الرجل .. فنفض بنوضه ولده ، وسار الأب في
يمينه صغيرته .. وفي يسراه فتاته ، ومن خلفه الابن في أدب
واحتشام .. !

وأخذ الجميع في ارتقاء الدرج .. !

قلب .. وحباته .. يتحرك فيتحركون بحركته ، ويسكنون
بسكونه .. !

هو سر الحياة في نفوسهم .. وليست الحياة التي يقابلها
في المقارنة الموت .. وإنما الحياة الحق .. الحياة في نضرتها
وجمالها .. الحياة المعنوية .. التي لا يشعر فيها المرء بعناء إذ أن
متاعبه ملقاة على عاتق غيره ..

وأدى بهم المسير إلى البهو الذي يفصل الحجرات ، حيث
كانت الأم جالسة في انتظار حلول الظهر لتؤدي فريضة الصلاة

قالت الأم : أحان وقت الظهر . . ؟
فأجاب الوالد : وهاك عزيزتنا قد انتهت من الدرس دليلاً
على ذلك . .

قال ذلك وجلس إلى جانبها ، ومن أمامهما اتخذ الأبناء كل
مكانه حيث راق له . . وفي يد الرجل مسبحة يذكر بها ربه ،
وفي يده الأخرى عصا لم يزل قابضاً عليها . .
وأحس الرجل بنفسه تضطرب . . وبقلبه تتدارك دقاته . .
فقال لزوجته . .

وأحس دواراً فأعطى قليلاً من (الأتير)
وقامت على الفور ، فما كادت تخطو خطوة حتى سمعت
ولدها يقول :

— أبى . . أبى . . لم تميل هكذا . . ؟ ؟
وعادت على أعقابها ، فاذا الرجل مائل بكاهله إلى
الأمام . . كأنما هو يسجد . . يميناه تحت جبينه . .
قلبه . . فانتفض انتفاضتين . . وهو يتألم . . دون أن يتكلم
ثم فارق الروح الجسد . . ففقد الحياة
راعها الأمر . . !

فأعولت واستصرخت . .
ورأى الأبناء الأم باكية . . فراحوا يقاسمونها البكاء . .

وكلهم صغار لا يفهمون من أمر أبيهم شيئاً
ما علم الأبناء ساعتئذ أن الموت قد رفرف الساعة ،
واختطف من بينهم أباهم عماد بينهم .. ونور حياتهم ..
وسمع الصحب والجيران العويل والصراخ .. فأقبلوا
فرعين .. فاذا بهم يرون الخطب الجلل .. !
رأوا الدار قد فقدت عمادها ..
والأبناء قد ثكلوا أباهم !
والزوجة .. تبكى أسداها ، فقد أدركه الفناء .. !
إنها لكارثة ..

لم يبلغ أكبر الأبناء العاشرة من سنى العمر — فانه لحدث
صغير ، وللأسرة عبء .. ولا بد له من أن يحمله ..

وراح الجميع يتشاورون .. !
واختلفوا فى الأمر .. !!
قال كبيرهم مشيراً إلى الغلام الذى يبكى فى أقصى المكان .
ما بالكم قد اختلفتم . وما أخذتم برأى هذا الغلام .. ؟
قالوا : إنه صغير .. !

قال : ولكن الأمر يعنيه فهو خاص به .. !
وناداه .. فلبى النداء .. !!
وقف الفتى مضطرباً .. وكأتما قد عراه ذهول .. وألقى

الرجل عليه سؤالاً . : ما كاد يصل إلى أذنيه حتى نظر إليه ولم
يتكلم . . وإنما أجابت عنه الدموع

.. .. .

.. .. ومن هذه الساعة عرف الصبي مرارة العيش . .
.. وذل اليتيم ، فقد انتقل العبد إلى كاهله ولم يزل الغلام
الصغير . .

وابتدأت الحياة تعرض عليه ألوان الشقاء في صور شتى ..
وتلبيه بسياط لأوائها بأساليب كثيرة وتنكرت له الأيام ، فلم
يعد يرى منها ابتسامة . . !!

ذاك الراحل الكريم .. هو أبي . . !

وأما الغلام اليتيم .. فأنا .. !!

وأما ذلك اليوم المشؤوم .. فيوم ٢٣ أغسطس ١٩٢٦

رحمك الله يا أبي . .

وسامحك الرحمن يا أمي

فلولا كما ما جئت العالم ، ولما تحملت أعباء الحياة . . في لحظة من
لحظات اللذة الفانية ، اتفقنا على شقائي سوياً . .

فكلاً كما مذنب . .

وكلاً كما أناني . . !!



« الماضي والحاضر »

حديث الألم .. كهمس الحلم ، وليس صوت الأبد .. إلا
جفاء الزبد .. عند ما تتناثر الفقائيع .. وتبدد .. !!

... .. سحرني الضوء ينحدر .. يصبغ الأرض
وأطراف الشجر .. كمنار الفضة .. ثم المروج الخضراء في
ثياب الجمال والجلال .. روعة .. ووداعة .. !!
.. ووقفت بي القدم ، حيث الطراوة لينة عذبة . تهب
مترقة ، في نسيم النيل البليل ، تتغلغل في النفس .. والموج
يصفق حفيفاً ، والزبد يرغو خفيفاً .. ثم يتناثر على وجه الماء
طافياً .. ولا يلبث أن يتلاشى .. ويصير لا شيء .. !!
أرهفت السمع .. فاذا لهذا كله نغم .. ثم إذا بهذا النغم ،

يتفتق عن كلم .. هو همس أشبه بصوت القدر .. يتحدث
بلا حذر .. !!

— مجد النيل الجليل .. تالد خالد ، بناء الأبناء القدماء ..
وإنه ليزهو فخارا بأبنائه البكر .. فقد كانوا أسمى البشر ..
في حسن الفكر وبعد النظر .. يخرجون أروع الصور ..
ويخلفون أبداع الأثر .. !!

وكثيراً ما تحدث النيل في زهو إلى الزمان :
انظر أيها الزمان الغيور ، كيف تمر الدهور .. وربوعى
تزدهر ، في جمال نضر .. والفن يملأ الوادى ، بآثار أولادى
فالعبقريّة وليدة الذوق الفرعونى .. !!

انظر أيها الزمان .. هذا الملك فى أبهة الجلال ، والكمال ..
فهذا ملك ظافر .. وذاك فاتح قاهر .. !!
انظر .. انظر .. إن أبناء النيل ، لا يعرفون الهزيمة !

وكان الزمان يسمع فى صمت .. ولا يحجب .. !!
وتوالت الأيام ..

والنيل يرقل فى حلل الفخار .. والنصر .. إلى أن انقضى
ملك الفراعين .. وتابعت على مصر ووادى النيل الهزائم ..
ودخله الفاتحون الظافرون ، وأهلكت أبنائه الدواهى ..

ولم يعد الزمان يسمع له صوتاً .. فقد ظل دهرأ لا يتكلم
ولا يفاخر .. فقال الزمان بصوت جهورى .. فيه لون من
السخرية والتشفي :

— أيها النيل الفخور .. أما كنت تعلم أن الكمال ، نذير
الزوال .. وأن المجد ، لا يقترن بالخلد .. فاليوم لك ، وغداً
عليك .. !!

قال النيل في نبرة حزينة :

— لقد غرني توألى النصر .. وطول الأمد .. !!

قال الزمان يرتل في مزمار الأبد :

— وإن توألى النصر .. فلا بد من القهر .. وإن طال الأمد
فالزمان أطول .. فما كان لك أن تختال ، بما هو أشبه ..
بالظلال .. !!

لم يتكلم النيل ..

ولكنه صمت في حزن وألم ، يندب ماضيه ، ويبكى ما هو
فيه .. من مسكنة وذلة .. !!

فها هو ذا الزمان يتهم ، بعد ما كان لا يجرؤ أن يتكلم
وها هي ذى الأمم .. لحرمة أرضه تقتحم .. !!

ولم ير بعد أبناؤه الفراعين ، أحد بنيه قام لنصرته إلا
وانكسر .. وتردى في أعماق الحفر .. !!

وكانت مصر .. ثكلى حزينة .. إلا أنها كانت لا تنفك
تواسى النيل في مصابه .. وتمنيه بما فى نفوس الناشئة من أبنائها
من همه ، ستزول بفضلها الغمة ..!!

فها هو ذا شعاع الحرية ينبثق ، فى ظلام الغسق .. وها هو
ذا الضوء .. ضوء الحقيقة والوطنية ، يسطع فى نفس مصطفى ..
مصطفى الذى مالبت أن عصفت به ريح المنون فاقتطفته كالزهرة
فى أوائل الربيع .. وكان فى بدء العمر ..!!

وقالت مصر تواسى النيل :

ولئن فقدت مصطفى اليوم .. فغداً سترى العجب ، مما
سيسرك ، ويقر عينك ، بخليفته فريد ..!!
يا أبت .. يا أبت ..!!

إن أبنائى عرفوا اليوم معنى الحرية .. وتذوقوا سلاف
الرحيق ، من مجد أجدادهم القدماء ..!!

ولم تزل تتحدث عن فريد الجديد .. حتى دوى صوت
القدر ، ينعى طيب الذكر والأثر .. فأعول النيل .. يبكى ولده ..!!
وحزنت مصر .. والتفت فى أثواب الحداد .. ولكنها
كبتت جماح نفسها .. وراحت ترفه عن أيها النيل ..

ألا تدري يا أبا الوادى، أن فى أولادى .. نجما هو الشهاب إن
سطع .. والسيف إذا اندفع .. وراء الحق ، فلا يلبث أن يعيده ؟!

قال النيل في صوت حزين خافت يضطرب :

— ومن هو .. ؟ وهل بعد هذين ؟؟ .. مصطفى الذي هو
النجم الأول في هذا العصر .. وفريد الذي ضحى بالنفس ،
والنفس .. ومات دون أن يحفل به أبناء وطنه .. فهل أصدق
أن من بينهم من ساعتمد على صدق وطنيته ، بعد ما تهاونوا
في أمر هذا الوليد الراحل .. !!

قالت مصر :

— إن سعدا من أعنى يا أبتاه .. !
اهتز النيل لهذا الذكر الجليل .. كأنما اعترته نشوة .. وقال
وهو يبتسم :
— إن اسمه فال .. !

فرقست الأم ، وراحت تتغنى بجمال الابن ، وبقدرته ..
وبنبوغه .. مما جعل النيل يكفكف أدمعه .. ويجرى مرتلا
في مزمار موجه .. نشيد الأمل .. !!

وما إن رأت الأم منه ذلك ، حتى هتفت في أنبائها الباقيين :
— التفوا حوله ، فهو لسانكم الناطق ، وسيفكم القاطع .. !
وتقلد الرجل الزعامة ، فكان لها أقوى دعامة ، ووقف
من القوم ، مكان القائد ، فكان للحق نعم الرائد وكان
ما أقوى عزيمته ، وأمضى عزمه كان النبراس الهادي ،
لأبناء الوادي .. !!

لقد تحمل آلام النفي ، وعنت عناد العدو . . ولقى الصعاب
باسمًا . . راسخ القدم ، ثابت العزيمة . .

كان يجد في جهاده لذة ، وفي جلاده سعادة . .

لقد أغرم بالدفاع عن بيضة الحق ، والذود عن قداسة
الحرية ، فصمد للعدو كالطود لا يتزعزع . . ولا تخور قواه ،
أمام وعيده وتهديده بالهول أن تمادى . . ووعدته إياه بالنعيم
إن تخلى . .

وما كان الغاصب ليعلم ، إن في تخليه شقاء لنفسه . . . وفي
ثباته على عزمه وعقيدته ، سعادة لا تدانيها سعادة ؟ !

ومرت الأيام . . والابن في جهاده وجلاده ، حتى ضاق
به الغاصب ذرعاً ، فطوح به من أمامه . . وأقصاه عن أرض
الوطن المقدس . . ١١

قالت مصر تنهى النيل :

— انظر يا أبت ، كيف يتحمل هذا الوليد ، في سبيل مجدك
. . وإعادة حريتك . . ؟ !

ها هو ذا لا يبالي ، بصروف الليالي . . ولا يروعه الهول ،
مما لعدوه من الحول والطول . . ١٢

ها هو ذا يتحمل النفي ، ويقبل عليه في سرور ، دون أن
يخالج نفسه شعور الضعف ، بالعدول عن رأيه . . ١٣

وظلت مصر والنيل ، يترنمان بنبل عقيدته ، وجمال فكره ..
وما لصوت زئيره في منفاه ، من هول يهز قلب الغاصب في حنايا
أضلعه .. رعباً وفرقا .. !!

وحرك زئير الأسد السجين ، النخوة والوطنية في نفوس
مواطنيه ، فثاروا يرجون عودة القائد ، ورجوع الزعيم .. !!
لقد أخطأ العدو عند ما ظن أنه أبعد الزعيم عن وطنه ،
فأمن خطره ، إنه وإن يكن أبعد الجسد ، فلن يستطيع نفي
الروح .. وإبعاده .. !

لقد أذاع في الناس رسالته .. ونفث فيهم عقيدته .. وما
للصوت أن يحبس ، وما للعقيدة أن تحارب .. !!
ها هو ذا يعود برغم العدو الذي أقصاه .. !
وسر النيل .. وراح يترنم :

عد إلى ربوعى يا بنى ، فما أحب إلى من أنفاسك تعطر
هواء الوادى بأريج حب الوطن ، وقداسة الحرية .. !!

عد سالماً .. عد سالماً .. لمن يرجو سلامتك إلى الأبد
وبلغ الرجل أوج عظمته ، وتعلقت به الآمال .. وصار
محل عناية كل نفس .. . فقد سار إلى حيث القمة .. . وها
هو ذا يكاد يضع قدمه على الرأس .. فيصيب كبد الأمل .. !!
إن مصر ترقص طرباً بوليدها .. . والنيل يسهر ليله ..

ويقوم نهاره .. راعياً إياه ...

وكان يوماً عبوساً قطريراً .. قد له الدهر من ظلام الليل
ثوباً ، فسر بل به شمس ، وحجب دراريه ، فقد انطفأ فيه شعاع
الحياة من نفس الزعيم ...

كان ذلك اليوم ، يوم ٢٣ أغسطس عام ١٩٢٧ ، فأعول
النيل وفاضت دموعه دامية على الجانيين !

وراحت مصر تولول حزناً عليه ... !
لبس الأب الثاقل ، والأم الحزينة ، وأبناء الوادي جميعاً ..
أثواب الحداد ...

وزاد الجميع حزناً أن سمعوا صوت الزمان يردد في تهكم
بعد حين .

توفي سعد وانقضت الزعامه
وأعي الأمر من قاموا مقامه
وقد ضل السفين بهم فحاروا
ولن يصلوا إلى بر السلامه



إليك يا من أحببتك ، ولا مطمع
لى عندك ، إلا أن أحبك

حذاء قافلة الأيام !..

ونشيد الماضي !!..

وأغاني القدماء ...

وأصوات الأجيال الفانية ، يهمس بها الأبد .. أمام
الشمس التي تجر أذيال ثوبها اللازوردي ، من على وجه الأديم
الآغر ، بعد أن دنت وقبلت ثغره ، قبلة الوداع .. وتغلغلت
بين أستار الغسق .. شاحبة مصفرة !!..

أنات الريح !..

وشكاة الطير ..

ودموع الشفق .. في جفن الأفق .. دامية قانية .. تسيل

فتبلى الأرض .. حزنا على ذكاه التى توارت .. وفي أثرها
النور .. !!

الكون فى يقظته .. يودع كوكب النور .. ويستقبل
جحافل الديجور .. وأملاك الصمت .. والسكون .. !!
وكان نفس حمدى مأخوذة بهذا كله .. هذا الانقلاب
الكونى .. الانقلاب الذى يحدث أبداً .. ولكنه لا يدرى
لم لم يرعه هذا إلا اليوم .. ؟؟ فانه ليشعر من الأعماق بحزن
دخيل يمزق أوصال نفسه .. ويذيب حبات قلبه .. !!

وكان يرقب المعركة التى دارت رحاها ، بين جيشى الظلام
والنور ، حتى إذا ما تمت الغلبة لليل .. وتبوأ عرش الكون ،
وأمسك بصولجان الوجود ، سألت على خد الفتى أدمعه .. 1
لم الدمع يتدفق .. ؟

والحزن لا يترفق .. ؟؟
لا شئ .. لا شئ ، غير أنه يشعر بحاجة ملحة تدفعه إلى
ذلك كله .. !!

فها هو ذا الملل يسود نفسه ، فانه لا يكاد يستقر فى مكان
حتى يضيق به ، فينزح إلى غيره .. !!
من مقعد إلى مقعد ..
ومن حجرة إلى حجرة .. !

ومن نافذة إلى أخرى .. فكأنه سجين البيت من عشرات
السنين ..

ها هو ذا قلبه يغوص من أعماق صدره .. وكأن بين
أضلاعه حملاً ثقيلاً ، يضغط على الشعب الهوائية ، فيكاد
لا يستطيع التنفس ..

الظلام ناشر خيمته ..

والسكون سائدة رهيبته .. !

ونفس الفتى حيرى مضطربة .. حائمة هائمة ، بين جنبيه ..
وليس يدري لذلك من سبب ، ولا يعلم لهذا الأمر من تعليل !!
وازداد به الضيق ، فلم ير بدأ من مغادرة البيت طلباً للهدوء
.. وإلى الفضاء يرم وجهه .. !!

... .. الفضاء الرحيب ضيق على سعته ..
والأضواء التي تنبعث من المصابيح الكهربائية تكاد تغشيها
سحابة من الظلام الكثيف .. وكأن أشعتها لا تنفذ وسط هذه
الحلقة القائمة .. وأين الحلقة القائمة .. والظلام المدهم ..
إلا على عينيه .. ؟ ؟

وسارت قدمه الطائشة .. ولم يزل قلبه في خفوق .. ولم
تزل نفسه حيرى يسربلها رداء من الخوف .. كأن أمراً عظيماً
ينتظره .. ويترقبه .. !!

ترى ما الخبر . . ؟ ؟

وما عساه بنمسي قد حل . . ؟

أى شيء يخبئه لى القدر . . ؟ ؟ ؟

بهذا كان حمدى يخاطب نفسه . . وإذا بعينه تختلج . . فعلم
بأن هنالك كارثة ولا ريب . . ومصيبة هائلة سوف تحل به
ولا منجاة منها . . !!

ونجأة وقف حمدى . . فقد وجد نفسه أمام بيت أحد
أقربائه ، كثيرا ما عاودته الرغبة فى زيارته منذ أيام . ولكنه
كان يتحایل ويتغافل . . ويعد ويماطل ، بينه وبين نفسه . .
فقداته إليه قدمه دون وعيه . . وبغير إرادة منه . . !
ولج الباب ، وإنه لبين حالات متباينة . . انقباض وانسراح
. . هدوء وثورة . .

... ..
... .. وكانت الحجرة خالية
إلا من حمدى وسلى . .

وتمللت الفتاة فى مقعدها . . وكأن بنفسها مللا . . وكأنما
تحبس شيئا تريد أن تفضى به لحمدى ، ولكنها تخاف عاقبته . .
وتخشى من وقوعه على نفسه . . إلا أن المرأة شغوف بأن ترى
الرجل يتحطم أمامها . . سواء أكان من أجلها ، أم من أجل

غيرها من بنات جنسها . . شغوف بالخوض في حديث الحب
وغماره . . إذ هو في حياتها كل شيء . . . !

وكانت الفتاة في صراع بينها وبين نفسها . . بين القول
والكتمان . . وكان الصمت يسود جو الحجرة . . !
ورفعت سلمى رأسها ونظرت لحمدى وعلى شفقتها ابتسامة
غامضة . . وفي صوت يبدو فيه التردد قالت :
— أما علمت . . ؟ ؟

وأحس حمدى كأن الصاعقة تدنو منه . . وقال وهو في
شبه اضطراب :

— بماذا . . ؟

— بليلي . . !

خفق قلبه خفقة حزينة ، وتداركت دقاته ، وتصاعد الدم
إلى رأسه . . وقال في تلهف :

— وماذا لدى ليلي . . ؟ ؟

— غداً ستباع . . !

وأرسلت ضحكة في سكون الغرفة . . وقال حمدى مبهوتاً . .

— ستباع . . ؟ ؟ !

— أجل : . . ! بلغتك يا شاعرى العزيز ، فكثيراً ما سمعتك

تنعت الفتيات المصريات ، بأنهن كالسواثم ، يعن دون إرادتهن

لمن لم يرغبه . . !

اصفر وجهه . . واضطربت شفاته . . وقال :

ومن المشتري يا سلمى . . ؟

قالت — الأستاذ مجدى . . !

أخذ حمدى يحقق البصر . . ويدقق النظر فى فضاء الحجرة

وكأنه لا يرى شيئاً وقال فى نبرة حزينة :

— أعاد الكرة ، ولم يرض بأن تفلت منه هذه الصفقة . . ؟

قالت — أجل . . !

وضمت حمدى برهة . . وكأن شغاف قلبه تتمزق . . :

وكأنما بنفسه خنجر يقطع أوصالها . . ودارت به الدنيا . .

فاذا به يضحك فجأة . . ! !

صوت خرج من فمه ، أشبه بالضحك . . ولكن . . من

يدرى . . ؟ ؟

لعله أراد أن يصرخ نغمانه صوته . . أو استخزى . . ؟ !

أو لعل لوثة أصابته لساعته . . فضحك من بلوائه . . !

لا . . لا . . ليس هذا ولا ذاك . . ! فان الصدمة القاسية

تحول الإدراك إلى ضده . . والاحساس إلى نقيضه . . !

وأى شيء أشد من ذلك وأقسى . . ؟ ؟

آماله تتقوض . . وصروحه تنهار . . ونبراسه يختفى . .

وضوؤه يخبو . . ! !

ألا ما أظلم الحياة في عينيه .. وما أشقى نفسه بين دياجيرها
الحالكة .. !!

قالت سلى وقد آلمها ما رآته .. وركضت أمام عينيها
صور انبعثت وكانت كأمينة .. أحزنها مرآها .. !!

— دع عنك الألم .. واسل .. !!

قال — أأدع عنى الألم .. وأسلو .. ؟؟

قالت — أجل ..

قال — سأفعل .. !

واعتمد بيده رأسه .. وراح يهيم فى أودية الظلام ..
يتخبط بين الأوهام .. ثم رفع رأسه قائلاً :

— قول تنطقون به أيها الناس .. ويخيل إلى أنكم

ما أحسستم الحب .. ولا عرفتموه .. !!

وهنا أرسلت الفتاة ضحكة ماجنة .. تقطر دماً .. وتسيل

حزناً .. وقالت تردد قوله :

— وكأنكم ما أحسستم الحب .. ولا عرفتموه .. !!

فنظر إليها حمدي .. وقد استشف من خلال صوتها المأ

مكبوتاً .. ومن نبراتنا نفساً تذوب .. !

وقالت الفتاة :

— على المرء أن يكون شجاعاً .. وليس من الشجاعة
يا صديقي أن تحب من لا تحبك ..

قال — وهل ذنبى أنتى لم أكن شجاعاً .. فأنتزع قلبى من
بين جنبى وألقى به فى اليم .. ؟ ؟

قالت — لقد ألقىته فى اليم رغا زبد .. وتلاطم موجه ..
ولكنك تبعته فكان نصيبك الغرق ! ..

— خير للمرء يأسلى أن يحيا بقلبه ، بدل أن يحيا بعقله ..
فما الحياة إلا حياة القلب .. وهل ربيع القلب فى غير جنان
الحب .. ؟ ؟

قالت — كان من واجبك أن تنقذه فتنجوا ! !

قال حمدى وقد رفع صوته فى نبرة أليلة :

— وهل يعرف الحب واجباً غير التضحية يا سلى .. ؟ ؟

قالت الفتاة وقد ثار ثائرها واهتاجت فى شبه غضب :

— عند من يستحق التضحية تحلو وتلد .. !

— ومن هو ذا .. ؟

قالت فى مرارة :

— من يهب القلب للقلب .. ولا يرى عقبة فى سبيل

الحب .. !

قال — لقد كان ما كان ! ..

ومرت فترة صمت .. كان حمدى أثناءها فى أودية الجحيم
يهم .. والفتاة بين مفاوز نفسها الوعرة ، التى تلبدت بالغيوم
من عهد غير بعيد .. تضرب على غير هدى .. !

كانت ليلي وحمدى .. وسلمى .. فى عهد الطفولة صحبة ،
وكان كل منهم ظلا للآخرين .. فلم يكن لأحدهم أن يفترق
عن صاحبيه .. يقضون النهار فى اللعب .. حتى إذا ما جن
الظلام أوى كل الى مخدعه فى حضن أمه يحلم فى برامة .. إلى
أن ترفع الشمس حجاب الظلام .. وترنو من خلفه تلقى بسمه
النور على الكون الجميل .. فينعقد جمع الثلاثة .. ويأخذون
فى اللعب ..

ومرت الأيام ..

وكبر الثلاثة .. !

وقد أحب حمدى ليلي .. فأضحت سلمى صديقة للحبيبين ..
إلا أنها كانت تعيب على حمدى مسلكه .. لما كانت تراه يقابل
إعراض ليلي وصدودها .. بوفاء وإخلاص .. !!

وكانت تقف منهما .. كمن يرقب رواية سينمائية .. كان يظن
نفسه منها البطل .. فاذا به من الشاشة فى أقصى مكان .. !!

قالت الفتاة بعد أن طال الصمت :

— أكان لك أمل فى أن تبني بليلى .. ؟

قال كلا ..

قالت — إذن شنشنة تعرفها من أخزم .. !

— ولكن الفريق يحلم بالمعجزات ..

— وهل تثق بالدهر إلى هذا الحد .. ؟ ؟

— ليست ثقة .. ولكنها أحلام .. !

وصمت برهة واستطرد .

— وكثيراً ما تطلع الشمس .. فتبدد الأحلام .. !

قالت الفتاة :

— أهي عظيمة حتى أنها صارت حلماً .. ؟

— ... ؟ ؟

— تالله إننى مشفقة عليك ، ولست أدري ما ميزتها على

غيرها من الفتيات .. ؟ !

— للناس فيما يعشقون مذاهب ..

قالت — إننى رائية لك ، حزينة من أجلك .. وبودى لو

أستطيع إنقاذك ..

قال — وأنا أشكر لك هذا الشعور النبيل .. !

قالت — لقد سألت صديقة لى فى أمرك .. وأى طريق

إن تسلكه تسلكه . . فقالت ليحب غيرها فيسلوها . . ثم يكون
من السهل عليه أن يترك الأخرى . . لأن أقوى الحب باكره
وأما ما يأتي بعد الحب الأول فمن اليسير تناسيه . . !!

قال - وأنى لي بمن تنسيني ليلي . . ؟
قالت - أظنك تراها ، فلا تتمثل غيرها في هذا الوجود . . ؟؟
- . . ؟

- إسمع يا حمدي . .
- هيه . . ؟
أريدك ماجناً ، ساخراً من كل شيء .. عابثاً بكل قلب ..
بوهيميا .. فلتدفن قلبك .. ولتدع حبك .. واعلم أنك
ستكون سعيداً .. !!

قال - وهل يستطيع المحزون أن يسعد ؟ ؟
قالت - لا يعلم الطبيب مفعول الدواء كمن يتجرعه . . .
وثق بأنه دواء ناجع . . لتهازأ بكل شيء . . ولتقل أن لا حب
في الوجود . . ولتحتقر ليلي . . ليلي التي تنشد السعادة عند
غيرك ، في رحاب ماله . . وبين أحضانه . . !!

وصمت الاثنان
وأطرقت الفتاة . . ووجم الفتى واكتأب . . !!

قالت سلمى : أما رأيت غريمك ..

قال - أجل رأيت .. !

— صفه لى ..

قال حمدى - أعفر أغبر .. بلغ من العمر ما قرب من

الكمولة .. أبرز صفاته أنه يبدو كالآبله .. !!

فأرسلت الفتاة ضحكة معنوية .. وأعقبتها قائلة :

— ولكنها مسرورة به .. فرحة طروب .. !!

نالت جملتها من نفسه .. وآلمت حسه .. ولكنه لم

يتكلم .. فصمت ولم يجب .. ثم أطرق كأنما يغالب دمعاً

بمحجريه ..

... .. وصعدت زفرة من أعماق صدره وقال :

وداعاً يا ليلي .. فما أظن أننى سألقاك بعد ذلك اليوم الذى كان

عصياً .. !

قالت سلمى - ولم ... ؟؟

قال - ليس من حقى ..

ورفع بصره إلى وجه الفتاة قائلاً :

— سلمى .. !

ف نظرت إليه نظرة إيجابية فاستطرد :

— أفتظنين أن رجلاً فى عقده الخامس يقدم على الزواج

من طفله لم يرها .. إلا لأنه ينشد من ورائها شيئاً عظيماً .. ؟؟
قالت - سنة الخلق في هذا الزمان ! ..

- سنة خاطئة .. ولعمري إنهم باعوا قلوبهم .. وأفنوا
نفوسهم .. فويل لهم من الدينار الذي يجدون فيه طريقه باحثين .. !!
قالت - إنها تعلم أنه ما طلب يدها رغبة فيها هي . حتى
ولا في جسدها الغض إن كان بهيميا أعمته الغلظة .. وإنما
طمعاً .. لا أكثر ولا أقل .. هي تعلم ذلك منه وبالرغم من
هذا كله .. هي مسرورة به .. !!

وقام حمدي مغادراً المكان .. والفتاة في أثره مشبعة ..
تصوغ كلمات عذرها عن أنها كانت هي المخبرة له بهذا النبأ
الآليم : . ففجعت في أسمى الآمال عنده
قال حمدي - لقد وقعت الواقعة .. فهل لا يحزني إلا أن
يحمل إلى الخبر .. ؟؟

..

.. وخرج إلى الطريق .. !!

ماذا يرى .. ؟ وأي شيء ينظر .. ؟؟

لا شيء .. لا شيء غير أن الطريق مقفر رغم ما يروح
ويجىء بين جانبيه من خلق كثير .. !

وهكذا الشقي أبداً ..

يرى الناس جماهير وجماعات .. ولا يعترف بوجودهم ..
ما دام لا يظفر من بينهم بمنصف أو نصير .. !!
وسارحمدي ..

ولكن إلى أين ؟؟ ..

إنه يضرب على غير هدى .. ويتخبط دون وعى أو رشاد
فهو لا يدري :

هل يذهب إلى البيت ؟؟ ..

إنه يخشى جحيم الوحدة ... !

أم يعرج على هذه المقهى ؟ ..

إنه ينفر من الناس .. !!

إذن فليضرب إلى حيث لا يدري .. !!

خواطر التعساء ..

وأوهام المنكوبين .. !

وأحلام الغرقى .. !!

كل هذه تعقد خيمة على نفسه .. وتضرب بينه وبين العالم
حجاباً .. فهو لا يرى من خلفه شيئاً ..

... ها هي ذى مقبلة على زوجها باسمه .. تفتح ذراعها

لتستقبله بينهما .. !

وها هو ذا الزوج البغيض ، يضمها إلى صدره . ويلثم وجهها
المشرق ، الذى ترفعه إليه فى انتظار القبل . . . !
ثم وها هى ذى تجرى هرباً منه فى اشمئزاز . . . وتهتف من
أعماق نفسها . . . حمدى . . . حمدى . . . إلى . . . إلى يا حمدى . . . !
إنه سيحطمه . . . إنه يثور عليه . إنه يثور عليه . . . لا بد من
الانتقام . . . !

صور تتلاحق . وآلام تتدفق . . . وليس لها غير صدر
حمدى مرسح تمثل فيه المأساة الأليمة
..... وليث حمدى هائماً فى طريقه . . . وكأأنه
ريشة فى مهب الريح ، تذهب بها أنى شاءت . . . وتلقى بها إلى
حيث تريد . . . !
وبعد عناء طويل . . .

أفاق الفتى الشقى من هيمانه . . . وعاد يتبين نفسه ، وأين
هو . . . ؟ ؟ فاذا به على قيد خطوات من الدار . . . فأوسع الخطى
حتى ولى الباب . . . ثم صعد الدرج فى ثقيل . . . وإعياء . . . !
... كانت الساعة العاشرة مساء . . . !

وكانت الدار هادئة ساكنة إلا من أنفاس النائمين ، تتردد
فى صدورهم . . . ودقات الساعة التى تقوم على الجدار ، ترصد
مرور الزمن . . . وتنوح من حين إلى حين . . . ناعية فناءه . . . !

وعلى مقعد تهالك في البهو الذي يفصل الحجرات ..
واعتمد بيده اليمنى رأسه الملتهب .. وراح يسبح في مسابح
الغرقى .. وإن كان قد أعياه الجهد .. ونال منه العناء .. !!

فيم يفكر .. ؟؟ وبأى شيء يحلم .. ؟؟

تذكر حمدى .. والذكرى أليمة .. !!

مر بخاطره يوم ٢١ يوليو الماضى .. ذلك اليوم الذى
سجل أثراً .. هو من أسوأ الآثار فى نفسه .. ولن ينساه
ما دامت له الحياة تنفحه بنسماتها .. !

لقد شاقته رؤياها .. فذهب ليراها .. وما كاد يشرف
على الدار حتى وجدها على غير ما يعهدها ..

... الخدم يعملون فى تنظيف البيت يجد .. ومن خلفهم
أختها تشرف على عملهم .. والكل فى اهتمام ظاهر .. !!

وتقدم حمدى من الفتاة قائلاً :

— ما الذى حدث عندكم من جديد .. ؟؟

قالت الفتاة وقد افتر ثغرها :

— سيقدم ضيوف فى الغد .. !

جملة لا شيء فيها ولا غرابة .. ولكنها ألقت الروع فى
نفس حمدى .. إلا أنه لم يكثرث .. ولم يجعل لأثرها فى نفسه
أهمية .. ومضى يتنقل بين المقاعد المتناثرة، والأثاث المشعث ..

ثم التفت لها سائلاً :

— أين ليلي . . ؟ ؟

— ستحضر وشيكاً

وما كانت لتنتهى من جملتها قبل أن يدلف إلى الحديقة . .
منسأباً بين أشجارها . . متلهياً بالأغصان تيمس بين يدي النسيم . .
حتى انتهى به المطاف إلى حيث تقوم شجيرة الياسمين . . التى
تحت نافذة غرفة ليلي الجميلة . . !

ووقف حمدى يجمع بعض الأزهار البيضاء . . ذات الشذى
العطرى العبق . . وكان يردد بنغمة الشجى الطروب :

يادار عاتكة التى أت عزل

حذر العدا وبك الفؤاد موكل

وإنه لفي شجوه يجمع الزهيرات . . إذا بحركة خفيفة تتحدر
من النافذة ، أشبه بحركة الفراشة تتقلب على أوراق الزهر . .
فرفع بصره علماً . . فاذا ليلي مظلة من النافذة ، كالبدور بدا من
وراء الغمام . . يشع وجهها نوراً وسحراً . . وعلى ثغرها بسمه . . !
ليست بسمه اليوم ككل بسمه ، فان حزناً يخيم عليها . .
وأسى يكسوها . . تحاول أن تصبغها بلون من ألوان السرور
والبشر فلا تستطيع . . !!

وقابل حمدي بسمتها بافترار الشجر .. يحكي الجمال والحب !
وكان قد جمع عدداً من الزهر ليس بالقليل .. وأودعه
طربوشه .. ثم رفعه إلى رأسه بتؤدة .. وهو ينظر إلى قمر
حياته .. وشمس نفسه .. !

هذه كانت عادته - جمع الزهر - كلما ذهب إلى دار الحبيب
وزهر الياسمين دون غيره .. حتى إنه أولع به ، وأصبح لا يجد
لذة لرائحة كعطره .. ولا لأريج كنشره .. فزهرة واحدة منه
تكفي لجلب الصفاء لنفسه في أشد ساعات الكدر .. فانها
لتحمل منها .. صفاء اللون .. والعطر .. والشذى .. !

*

* *

وعاد حمدي إلى حيث يعمل الخدم .. فقد بدت ليلي كالريم
الناقر .. تنبيه دلالة في ثوبها الوردى .. الذى ضاعف فتنها ،
وكساها جلالاً ، وحسناً .. !

لم يرها قبل تلك الساعة في مثل هذا الجمال البهيج ..
ولم ير لأنوثتها فتنة كما كانت في ذلك اليوم ..
صالحها حمدي ..

وكانت يدها مضطربة ، وكانت يده باردة ، وقال مداعباً :
— ما بالك آثرت الهرب هذا اليوم من العمل .. ؟؟
طأطأت رأسها ، ولم تجب إلا بنظرة حزينة ، مأخوذة ،

ذاهلة . . وأجابت أختها .

— أعلى العروس أن تعمل . . ؟ ؟

يا للهول . . !!

أهى صاعقة انقضت على هيكله قدمته . . ؟ ؟ أم نازلة
القضاء ذهبت بنفسه بدداً . . ؟ ؟

لا . . لا . . الأمر أجل من أن تفسره شباه القلم . .
وقال حمدي بصوت اجتهد أن يكون خالياً من كل اضطراب
— عروس . . ؟ ؟

قالت الأخت — وقد انسحبت ليلي من المكان :
— أجل . . إن ضيوف الغد ، ما حضورهم إلا لطلب
يدها . . !!

لم يتكلم . . !!
ولكنه سار إلى أقرب مقعد ، وارتقى عليه خائر القوى . .
موزع النفس ، وقد اسودت الدنيا في عينيه . . ودارت به
الأرض الفضاء ، وكأنها كفة الخابل . .
وصمت صمته . . يعلم الله ما كان يضطرم بين جنبيه من لهب
يحرق القلب . . ويذيب منه سويداء الفؤاد !

وإنه لفي جلسته بين آلامه . . والخدم يعملون ، والكل
منصرف عنه . . إذ راحت الذكري ترفع له الستار عن الماضي . .

تذكر حمدى أيام أن كانا صغيرين ، يقضيان جل اليوم فى
اللعب تحت شجيرة الياسمين التى لا تزال على عهدىها مورقة
مزهرة .. لا تبخل عليهما برىا أزهارها .. كما كانت لا تضن
عليهما من قبل بأن تضمهما طفلين بين أغصانها المدلاة المتشابكة
... ولما كانا يجمعان الأزهار ، ويذهبان بها إلى مكان قصى
ويختفیان عن عيون البستاني خوف زجرته وغضبه .. ! :

ولما كانا يقضيان أوقات الظهيرة ، والحر هجير .. على
الروابي العالية ، تحت أشجار الأثل التى تقوم فى جوف الصحراء
المترامية الأطراف .. فيجمعان الحب والحصى .. ويشيدان
بها البيوت الصغيرة .. فى ساعات اللهو واللعب ..
لقد كانا طفلين ..

وما كانا ليعرفا الحب .. ولا ليدركا كنهه .. ولكنهما
كانا سعيدين .. فى ظل الطفولة البريئة التى لا تعرف حداً ولا
قيداً .. ! !

تبين حمدى وهو فى جلسته ينظر « فلم » العهود الخالية ..
أن فى كل حركة من حركاتهما .. نذيراً ينذره بالشقاء ..
وبالويل والشبور .. ! !

فان تلك الصروح التى كانا يبنيانها من الحب والحصى .
فتأتى الريح شديدة ، فتهدم كيانهما .. وتذهب بجزيئاتها أبدياً ..

إنما كانت رمزاً لصرح الأمل .. الأمل الذى عصفت به رياح
الشقاء ، فطوحت به .. !!

وتذكر حمدى لما ابتدأت ليلي تشعر بمكانتها من نفسه ...
وراحت تتدلل .. وأخذت تحتفظ بكيان أنوثتها دونه ..
وتضن عليه بجلسة من جلسات الطفولة السعيدة ... !

وظل حمدى غارقاً فى خضم الذكرى — فى ذلك اليوم —
ولم يفتق إلا على صوت أخت ليلي التى وقفت أمه تقول .
— لقد انتهينا من الصالون .. ففضل بالذهاب إليه اتقاء
الغبار ... !

تردد حمدى بادية ذى بدء .. بين الذهاب إلى الصالون
والعودة من حيث أتى .. ولكنه رأى الصواب أن يدخل
ويجلس ولو قليلاً .. خوف الريبة والانتقاد .. فقام متثاقلاً ..
وسار نحو باب الصالون الذى ما كاد يتخطى عتبة ، حتى رأى ..
ليلى .. !

كانت ساهمة كمن يسبح فى جو بعيد من الخواطر .. وليس
يدرى بم كانت تحلم .. ولا فيم كانت تفكر .. !!
إلا أنه يعلم .. أنها عذراء ككل عذراء .. ولها آمال ..
ولها مطامع .. مقبلة على حياة جديدة .. لا تدري ما سيكون
نصيبتها منها .. !! ؟

سأزف إلى رجل لا تعرفه .. ولم تره .. ولا تعلم من أمره
شيئاً غير أن أباهما سزوجها منه .. لأن مركزه الاجتماعي
كبير .. وراتبه ضخيم .. وإنه ليكبرها بثلاث قرن ..!!
وإنها لتعلم حق العلم . أنه ما جاء وطلب يدها إلا طمعاً
من ناحيته فيما لو ألدها من مال وفير ..!!
خدع كلها الحياة ..!!

هذا يضل نفسه عن مأرب ذلك منه .. ليظفر بمطمعه
فيه .. وذاك يتغاضى عن مطمع هذا لينال حاجته لديه .. والكل
في خداع ونفاق ..!!

... .. وارتمى حمدي بجسمه السقيم على المقعد
في غير اتزان .. فسقط طربوشه عن رأسه .. وتناثرت
الأزاهير ..!!؟

بهت ليلي لما حدث ..!
وقالت فتاة ضاحكة في هدوء :
— هيا اجمعي ليلي الزهر ..!!
ولم تجب ليلي .. ولكن حمدي انحنى في ثاقل ، وأخذ
يجمعه ، ويضعه في طربوشه .. ثانياً

لقد كان حمدي عظيم الاهتمام بشأن الزهر : فلم يكن ليتهاون
في أمره .. وبخاصة أزهار الياسمين .. وكثيراً ما بكى الأزهار

التي يجدها ملقاة في الطريق ذابلة .. وقد حبر في ذلك القصص
والقصائد .. ناعياً هذه القسوة ولو لم يكن اهتمامه هذا غريزي
في نفسه لترك الأزهار في هذه اللحظة الرهيبة !! ..
ولقد وجدها متراخية الأعصاب .. بالرغم من أن اقتطافها
لم يمض عليه ساعتان !! ..

هذه هي الأزهار .. الأزهار التي كانت تظل نشوى أكثر
من نصف يوم .. وربما حتى الصباح إن كان اقتطافها عند
الأصيل ؛ هاهي ذى قد ذبلت . فالحياة إذا أدبرت عن امرئ
سلبته كل جمال فيها !! ..

وسارت ليلي ، في خطوات مريضة ، بنفس حزينة نحو
(الراديو) فأدارت صمامه !! ..

وكأنما القدر كان مجمعا مع حمدي في كل شيء .. على وداع
عهد .. رغم ما كان يسوده من الشقاء .. كان سعيداً .. ذلك
العهد .. عهد الحب من ليلي .. عهد النعيم والغبطة .. فقد كان
(الراديو) يذيع أنشودة الشاعر « رامي » يتغنى بها الموسيقار
« عبد الوهاب »

ياما بنيت قصر الأمانى وفضلت أقول سعدى وفانى

.....

كان كل كلمة تهز كيانه هزاً .. وتحز في فؤاده حزاً .

وكأن الصواعق قد صبت من السماء على الأرض .. ولقد رأى
كالعيان : في صفحة الفكر كأنه في السينما يشاهد « فيلم دموع
الحب » وبطله يجر نفسه جراً .. يتغنى بهذه الأنشودة الحزينة
— با كيا محطماً .. !! —

لقد رآها قبل ذلك .. ودان يتوقع ما سيحدث له ..
وبكى ما شاء له البكاء .. وكتب لصديق له يخبره أنه رأى قصته
على الشاشة البيضاء .. وإن كانت لم تتم فصولها بعد .. ولكنها
دون ريب قصة تمثل على مسرح الحياة .. وإنه فيها البطل .. !!
حارت الدموع في حذقيته .. ولكنه احتبسها .. ولم
يندرف منها دمعة ..

وانتهت الأغنية ..

فنهض على الفور .. ولكن في إعياء وثاقل .. وصافح
الجميع إلا هي .. فقد كانت منصرفه إلى ذات نفسها .. فلم يرض
بأن يقطع عليها جبل أفكارها .. وخرج .. !!

وما كان يدري أين يضع قدمه الطائشة .. ولا كيف يسير ..
ولكنه كان ينقل الخطى في ضلال .. وكأن بساقيه جبلا
يقيدهما . حتى أنه لم يفرق بين درجة السلم .. وأصص الزهر
التي كانت بجانبها : فبدل أن ينقل للسلم قدمه .. وضعها على
إحدى الأصص .. وما كاد يأتي بثقله عليها .. حتى انهارت

وهشمت .. فاختل توازن جسمه .. فهوى على الأرض ..
وهكذا عبر القدر مرة ثانية عن مأساته وفجيئته .. فحطم
تحت قدمه أصص الزهر ..
يا للفجيعة ..

إن كل شيء يترجم عن خطيئه الذى نزل به .. وكل شيء
يقظ ، حساس ، حتى الجماد ..
فالهواء عكر والجو مظلم ..
والشمس مغبرة .. ونفسه حائرة .. وقواه خائرة ..
ألا . ما أشقاه ، ما أحزنه ..
لقد قام من سقطته محطاً كما تحطمت الأصص تحت قدمه .
يجر نفسه فتكاد قواه لا تعينه ..

وأفاق حمدى من هواجسه على صوت ناعية الزمن تعلن
منتصف الليل ..
وصعد زفرة . وجفف عبرة . وقال :
أجل ..
ومن فشلت آماله في حياته
فليس له غير الدموع وسائل ..
وتذكر حمدى لما ضاقت به البلوى ذات يوم فكتب إلى

إحدى الصحف فيها باب للاستفتاءات . يستشيرها في أمره ولم
يذكر اسمه . . وقال في رسالته لمحرر هذا الباب :

سيدى الأستاذ

تحية وبعد :

لشد ما ينجلى أن أرانى مضطراً لأن أشرك غيرى في
أمرى . . فأبسط بين يديك شكائى . . . وأكشف لك
الستار عن آلامى ، مستشيراً إياك فى بلواى . .

منذ عشرة أعوام مضت وانقضت . . نبت بين جنبي نبات
جميل ، مستمداً غذاءه من بهجة فتاة كنت وإياها متلازمين . .
ولا أستطيع أن أسمى هذا النبات العطري إلا أنه عاطفة سامية ،
ولا أقول حباً ، كما يسميه الناس ، لأنه يسمو عن سمو الحب
ولكنى ياسيدى أستطيع أن أقول . . إنه تقديس وعبادة . . !!
تهيتها . . فلم أكشف لها عن سرى . . ولم أطلعها على
أمرى . . ولكنى بقيت صامتاً ، والنار بين جنبي تتقد ضراماً
وجراً . .

وكما أن لكل شيء نهاية . . فلصمتى أيضاً نهاية . . لأنه
لم يخرج عن أنه مشكلة بشرية . . وكان أن عرفت دون أن
أعتمد . . وعين المحب دليله . . فلم تنفر . . ولم أجرو أنا على
أن أثبها نجواى . . وشكائى . . بل بقيت كما أنا متهيأ هذا

الجناب .. وكما أنها لم تنفر فلم تستأنس ، وتركن إلى جانبي ..
وبقيننا وكأن شيئاً بيننا لم يكن ، مع أن وقد الحب يلهب نفسى
وقلبى .. !

وظلت لا تقبل .. ولا تدبر .. حتى عرف غرامى الجميع
دون قصد منى .. فاذا بها نافرة شاردة .. تقصينى .. وتبعد منى ،
حتى خيل إلى أنها لا تود رؤيائى ، وأيقنت من أن الرجاء توارى
فرحت أبكى الحب والأمل .. وأرثى ظللهمما البالى ..

ولكنى حرت فى أمرها ، عندما علمت أنها كثيراً ما تعكف
على نفسها ، فى وحدتها ، وتروح تنشر بين يديها بعض آثارى
التي وصلت إليها عفواً — واحتفظت بها بشدة وحرص —
وقتاً كأنما تطالع فيها سطوراً .. !

قل لى إن آثارى لديها عزيزة .. وإنها لكثيرة الحديث
لخاصتها عنى ، كلما كانت وإياهن وحيدة .. ولكننا إذا التقينا
فما نصيبى منها إلا النفار .. والصد .. !!

لست أدري ياسيدى ما مكاتنى منها والحالة هذه .. مع
ما يبدو من تناقض الأمور ..

وأخيراً .. رأيت أن ألقأ لاستشارتك .. وكلى أمل بأن
رأيكم السديد .. وبصيرتكم النافذة .. سينيران لى الطريق إلى

هذا الحب المظلم ، الذى أتخبط فى دياجير شقائه .. منذ الصغر ..
وتفضلوا بقبول فائق تحياتى .

حار الأستاذ الموكل إليه تحرير هذا الباب فى الرد على هذه
الرسالة .. فلم يرد بدأ من أن يكتب لصاحبها على صفحات
الجريدة تحت الرسالة :

« هذه أول رسالة تلقيتها ، كتبت بأسلوب صحيح سليم
وكتبت بروح قوية غير مفتعلة ، فأنا أهنتك بأسلوبك ، وأرجو
لك اطراد التحسين .. وبعد .. فقد فكرت فى رسالتك كثيراً
فلم أهتم إلا إلى فكرة واحدة لا ثانية لها .. ،
ثم أورد فكرته .. فلم يصب قلب الحقيقة .. ولكنه كتب
ما يراه ..

كم ظل حمدى حائراً فى أمر نفسه وهذه الفتاة .. وكم ضاق
ذرعاً بقسوتها عليه أمام عينيه .. فهو لا يدري لذلك من سبب

أحزان الحياة ..

وهوم الثواكل ..

وآلام الأتقياء .. !!

كل هذه تراكت على نفس حمدى ، فأثقلت كاهله .. وكادت
تقضى عليه .. لولا أنه قام لصلاة العشاء .. عل الله يخفف
ببركات الصلاة آلامه .. !!

ولكن بأى عقل يصلح .. ؟؟

ها هو ذا يقوم ويقعد .. يركع ويسجد .. ولكن ليس
يدري كم ركعة صلى .. وإلى أى حد بلغ من الصلاة .. أنصفها
أم منتهأها .. ؟

وظل على حاله .. لا يعلم بما يفعل شيئاً .. حتى ناحت ناعية
الزمان .. تدق الثانية بعد منتصف الليل .. !!
وقصد حمدى إلى مخدعه ..

الفراش جمر غطى بشوك القتاد ..
وهواء الحجرة فاسد ..

ونجوم السماء تطل من النافذة كثيفة وليست كعهده بها
صافية ..

والمحزون كثيراً ما تطغى عليه الهموم فيغفون ..
وكان من عادة حمدى أنه إذا حزن حزناً شديداً .. واستوى
على الفراش ، نام نوماً عميقاً ..

ولكنه ما نام الليلة إلا لينتقل من حياة الحقيقة إلى حياة
الآحلام التى رآها مفزعة مزوعة .. !!

رأى حمدى فيما يرى النائم أنه يسير وصديقاً له .. وقد
أشرفا على سرادق فيه حفل .. عرف بوحى من نفسه ، أنه
عروس ليلي .. !!

وسارت به القدم طائشة مضطربة حتى دخل بيتاً منيفاً
بجوار السرادق .. وفي حركة سحرية .. وبذلك السهولة التي
امتازت بها الأحلام .. وجد نفسه في حجرة أنيقة الأثاث
والرياش .. هي حجرة نوم ليلي العروس .. !!

ورأى ليلي جالسة على فراشها في انتظار الزوج — الذي
هو غريمه — وليس بقادر على أن ينظر إليها بعينه وقد وقفت
إلى جانبه أخت له .. قضت منذ عام .. تقول :

— إرفق بنفسك .. وارحم قلبك .. فليس من فائدة يجديها
الهم والحزن يا أخي .. !!

ولشدة قساوة الموقف .. ولهول المنظر .. قام حمدي فزعاً ..
من نومه وراح يتلفت حوله ، فإذا به كان في حلم .. وكان الفجر
قد انبجج .. والصبح قد تنفس .. فها هي ذي ذكاء ترنو من
خلف حجاب الأفق ، فتلقى على الكون بريق عسجدها ..
فتنير أرجاءه ، إلا أن نفس حمدي لم تنزل مظلمة .. !!

ومر اليوم بين دمة تسيل — في غفلة الإخوان — وآهة
تسرى بين جنبات نفسه فتمزقها .. !!

وجاء الليل ..

وكان حمدي هائماً على وجهه في الشوارع .. لا يجد له
قراراً .. فلقيه صديقه أحمد فسأله عندما رآه في حال متغيرة :

— مابك يا حمدى ٢٢٠٠ ؟

فأجاب : الدنيا مظلمة يا أحمد .. فانتى لا أرى فيها بارقة
لأمل .. أو شعاعاً لرجاء ..

قال أحمد : إنى ذاهب إلى السينما ، وأريد زميلاً فهل لك
أن تصحبنى ٢٢٠٠ ؟

صمت حمدى متردداً . ورفع رأسه بعد برهة لى يتكلم
مقررأ رأيه .. ولكنه لم يفه بشىء ثانية .. وسار إلى جانب
صديقه صامتاً ..

ودخلا دار السينما ..

وأخذ كل مجلسه ، ولم يخرج حمدى من صمته ..

وألقت أشعة الكهرباء بالخيلات على الشاشة .. فأخذت
تروح وتجيء .. ولكنه لا يرى منها شيئاً .. فانه لمنصرف
عنها لذات نفسه

لانه يرى ماضيه .. وحاضره .. أمامه بينه وبين الشاشة ،
ولإنهما ليحجبا عنه كل شىء .. !!

ومر الوقت .. وساء الملل نفس حمدى ، فاستأذن صديقه ..
وغادر المكان ..

وما كاد يخرج إلى الشارع حتى بصر بلبلى تسير إلى جانب
رجل حقق فيه ، فاذا به الأستاذ مجدى ..

يا للفرع ١٠٠

لقد مرت به .. ونظرت إليه .. ولكنها لم تتكلم .. !!
ثارت نفسه ، واهتاجت كبرياؤه .. وسار في أثرهما إلى
أن رآهما يقتربان من سيارة .. وقد تقدم مجدى وفتح الباب ..
وهم بأن يدفع بليلي إلى داخلها ..

ولكن حمدي كان كالسهم المارق .. إذا انحدر نحوهما ..
ووقف حائلا بين مجدى وليلي .. وأبى عليها أن تركب إلى جانبه
وراح يحتج .. ويتهدد !! ..

وأصر مجدى على أن تركب ليلي معه .. وليس له أن يعترضه
وزوجه ١٠٠

واحتدم الخلاف بينهما .. فاذا ليلي تقول :

— دعنا يا حمدي ١٠٠

يا لهول الصاعقة ١١٠٠

لقد تحطمت القيثاره ، ١١١٠

وتوارى نجم الرجاء .. إلى الأبد ..

وترنح حمدي في موقفه .. وثارت نفسه .. وأراد الانتقام ..

فهوى ييده على وجه ليلي .. لشدة غيظه ١٠٠

ولكن يده لم تلطم إلا رأس الشاب الذي يجلس أمامه في

السينما .. فقد كان في حلم .. وما برح دار السينما .. وأفاق

من نومه على صوت الشاب صاحباً مزجراً...
وراح هو وصديقه يتألفان إليه .. ويصوغان كلم العذر ..
حتى هداً ..

ولم ير حمدي بداً من أن ينصرف — لشدة خجله — فاستأذن
من صديقه .. وخرج لينتظره على المقهى المقابل لدار السينما
ريثما تنتهى الرواية ... !!

وكان الوقت فى منتصف الثانية عشرة مساءً ..
وسار حمدي فى الشارع الذى يكاد يكون خالياً من المارة ..
يضطرب لشدة ألمه .. وثورة نفسه ..

وكانت الاذاعة الرسمية قد انتهت ، وصاحب المقهى يذيع
بعض الأسطوانات

وقامت بنفس حمدي فكرة لم يستطع مقاومتها وتقدم من
صاحب المقهى ووقف قائلاً :

— عندك اسطوانة ياما بنيت ؟ ؟

فقام الرجل إليه مجلاً يقول :

— أيوه يا افندم موجوده .. !!

— دورها من فضلك .. !

وفى سرعة لبي الرجل رغبته
وانحدرت إلى سمعه أنغام حزينة ، ملأت نفسه شجواً وأسى

وفاء الموسيقى الحزين يشدو في حنين وأنين .

وسار في أنشودته إلى أن قال :

أنا كنت أحب الحياة وطيف خيالك نديمي

جن جنون حمدي واهتاج ، وقام يقول بصوت عال :

— أجل يا حبيبتي ..

وسار يعدو في عرض الشارع ، يردد البيت في بكاء ..

وكان صديقه أحمد قد خرج من السينما .. وراه يمر به

عدواً دون أن يقف عنده .. فسأله :

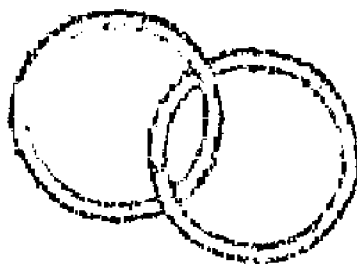
— إلى أين يا حمدي ؟؟

ولكنه لم يجب ..

بل أدلج في الظلام ..

وتغلغل بين أستاره ..

وتوارى في عالم مجهول !!!





سمراء ، خمرية اللون ، عيونها عسلية ، وسحرها أخاذ ..
شعرها فاحم ناعم ، هيفاء ، غيداء ، فاتنة .. تنطق ملامحها عن
جاذبية قوية ، وسحر شعري .. !!

ما رآها طفل إلا وتعشق فيها ظرفها وفتنتها ، وما بصر بها
شاب إلا وقتله سحرها ودلالها .. وما اجتمعت بها عادة إلا
واعترفت بجمالها وجلالها .. !!

هي فتاة ... ولكن ليست كأى فتاة ..
فلكل فتاة عيان ، وأنف ، وفم ..
ولكن .. ليس لكل منهن سحر ، وجاذبية وفتنة ..
وليس لكل فتاة ساحرة ، مالهذه من رزاة وحكمة ..
وإنك لو تجولت اليوم في الدور ، والقصور ، لما سمعت
إلا حديثها ..

ولو استرقت السمع من مجالس ربات الخدور، لما ظفرت
إلا بسيرتها .. كلها إضرأ ، وثناء فيه شيء من الغيرة الحنسية ،
تحملها الفتاة للفتاة تفضلها .. !

ولو انك جلست إلى شباب ناهض ، فلا يحدثونك عنها ،
إلا وفي نفوسهم لوعة محرقة ، وفي صدورهم حسرة تقطع نياط
القلوب ..

ليس هذا فقط .. بل اذهب وسر بين سرب من الأطفال
النابهين . فلا يحدثونك إلا عنها ، ولا يتكلمون إلا بكلامها ،
ولا يتمنون إلا لقاءها ، حتى إنهم يفضلونه على قطع الخوى ..
وهذا العيد .. !!

نبه ذكرها حتى سيطر على جو القرية .. ثم تسرب منها
إلى البلاد المجاورة .. ثم تجاوز هذه وتلك إلى كل بلدة عامرة ..
وكانت ستكون خاملة الذكر ككل عذراء حسناء .. إلا
أن الطبيعة أرادت لذكرها الخلود .. !

رأها صاحبي ، وكان فتى صغيراً ، فأحب فيها رواءها ..
وتعشق منها جمالها وجلالها ، وجذبه إليها كبرياؤها وإبائها ..
فصار تعيساً بئيساً .. فقد أبعدته ..

واشتد به البؤس ، وازداد الشقاء ، ولم تكن هي بالراحة
العطوف .. فترثي لمن يتعذب .. !

وخلق الشقاء من الفتى قتي جديداً . .
وأوجد فيه روحاً غير التي كانت تستر نفسه . . وغير التي
كانت ستكون له كباقي أبناء العشيرة لو أنه لم يشق بحب
هاتيك العذراء . . !

وخليق بالجمال أن يشقى ، ويحزن . .
وجدير بالنفس التي يحزنها الجمال ، ويشقىها الجلال ،
فتبتئس أن تكون نفس شاعر . . !

... خلقت العذراء بحبروتها شاعراً ، في بيئة لم تكن
وطناً (لأبولون) في يوم ما . . وليس ذلك بالغريب النافر ، ولا
بالعجيب المستطرف ، فأنى وجد الجمال ، وجد محبوبه ومسيحوه
ومن للجمال يحكيه ويسبحه . . غير الشعراء . . فهم الذين يقدسونه
ويعرفون قدره . . ! !

سمعت الفتاة صدى كلمات الفتى . . ورنّت في أذنيها أنغام
أبياته جميلة ساحرة شجية . . فسرّها ذلك . . وأحزنها . . ! !
سرت بذلك فقد عرفت قيمة نفسها ، وضمنت لسيرتها
الخلود . . فقد تغنى بحسنها شاعر . . فانها لتعلم أن النفس
الشاعرة هي المرأة التي ينعكس عليها سناء الجمال ، فيضيء الظلام
ويجلوه ، وإنها لأصدق مرآة يرى فيها الإنسان نفسه ، ولا ريب
أن لوحاتها الرائعة ، التي تخرج في القصائد المبدعة . . سيكون
نصيبها الخلود . . ! !

وعلا صوته بالاشادة بذكرها ، وبالتشبيب بها .. وأوحت
إليها طبيعة المرأة بالنفار والدل .. !

عناصر تنزاحم وتتلاحم .. وتتصارع وتتدافع ..
فقد صارت حياتها نضالا .. بين الجمال والدلال .. فذاك
طبع لمن يشيد بذكره ، ويرفع شأنه .. وهذا أبى إلا أن يصونه
ويحفظ كيانه ، حتى يظل إلى الأبد غير مزهود فيه .. !!
وطبيعة المرأة يا صديقي ، أن تدبر عمن يقبل .. وتقبل على
من يدبر عنها .. !!
سئلت يوماً :

لم أنت قاسية على من يتعذب بحبك ، ويكاد يقتله صدك !
قالت : لأنه شاعر ..

قيل : وهل ذنبه أنه شاعر .. !

قالت : أجل ..

قيل : ولم .. ؟؟ أفصحى .. !!

قالت : أنظر النحلة كيف تحوم وتطن ، حول الزهرة
اليانعة جذبها إليها الشدى ، وأغراها العطر ، فليس ذلك لأنها
تعشقتها في روائها ، ولأنها تود أن تقف منها طول أيام العمر
حائمة هائمة ، تتعبد وتقدر ، كلا .. كلا .. بل لأنها ترغب في
ارتشاف الرحيق .. وكذلك قلب الشاعر ، حائر دائر ، باك

شاك ، حتى إذا ما نال بغيته من عذرائه ، سار عنها إلى غيرها
غير راع لعده ، ولا حافظ لوده ، وكل ما يكمنه لها بين جنبيه
بعد ذلك عطف يهبها إياه ، هبة بغير إيمان ..

قيل : وما بغية الشاعر من عذرائه ؟؟..

قالت : أن تسمعه نغم الحب .. !!

وكان القمر يبسط ضيائه على المروج الخضراء التي تتراعى
أطرافها على شاطئ النيل ..

وكان الصديقان قد انتهى بهما المسير إلى حيث أشرفا على
الماء المتألق تحت الضياء الفضى ..
وقال حسام لمحدثه جمال :

— وماذا بعد ..؟؟

قال جمال :

— وصار الفتى يشيد بذكرها ، حتى أصبحت نجماً لامعاً
.. وقد فنى ذكره في ذكرها ، وتلاشى كيانه أمام
جبروتها . : . حتى صار اسمه لا يذكر إلا مكنى باسمها للتدليل
عليه . . !

وكان العذارى يقرأن ما يكتب ، فيستشطن غيظاً ، ويعبن

عليه مساسكه ، ويتمنين لو أنه كان مشبياً بهن ، محباً لهن ، فكان
يقدمن له الغالى الثمين ، ويزجين له الكأس صافية مترعة ،
ويمتعنه بالحب كيفما كان ضربه !!

قال حسام :

وهل كان صاحبك راضياً بحاله ، قانعاً من فتاته بما كانت
تلققه به من إذلال وتعذيب .. ؟؟

قال — فى بادىء الأمر ، ثم تبرم ، ولكن الغل قوى ،
والأصفاة شديدة ، والقيود محكمة . . فلم يستطع من أسره
الفسكاك ، ولم يجده التبرم شيئاً . .

وصمت برهة واستطرد :

إننى لأذكر عنه الشئ الكثير ، فقد كنت من خاصته ،
لا يكاد يكتفى أمرأ . . ولقد ذكر لى أكثر من مرة أنه
على وشك أن ينجو بقلبه من حب هذى القاسية . . فقد التقى
اليوم بفتاة ، وابتسمت له ، وحيته ، فأصابت بابتسامتها الساحرة
ثغرة فى نفسه وخفق لها فؤاده ، ولن تمضى أيام حتى يكون قد
نسى فتاته الأولى ، واستكان إلى جانب فتاته هذه الطارئة
هانئاً ..

سرنى الأمر أول مرة .. وظننته حقيقة وليس بخيال شاعر
كالغريق يتشبث بالأعشاب الطافية على وجه الماء والموج

متلاطم صاحب . . . فهأته بنجاته من عذابه . . . وآلامه . . .
ولكن . . .

وصمت جمال برهة .. فقال حسام :

— ولكن ماذا .. ؟؟

قال ولكنه كان حالما واهماً ، فقد لقيته بعد ذلك بأيام ،
فاذا سروره قد تلاشى ، وبشره قد استحال إلى كآبة .. وعأوده
حزنه القديم .. !

قلت ما بك يا صديقي .. ؟

قال ، لقد تشبثت بأحبال الهواء ، فتوهمت أنني نجوت من
حب معذبتى ، وما كدت أومن بحبي الجديد الوليد .. حتى
ظهرت فى خيالى فجأة ، فمحت بجبروتها كل شىء .. !
ولقد تكرر منى هذه غير مرة .. وأشقاء الأمر .. ولم
يشغل حياته شىء غيره ، فكان يحاول النجاة من حبها فلا
يستطيع ، وقد قال فى ذلك :

أفنىت روحى ونفسى فى حبها وشبابى

ولم أنل من هواها إلا دوام اكتأبى

فهل لقلبى .. نجاة من شقوتى وعذابى ؟

ولقد تبرم بحياته العاسية حتى أنه كان إذا رأى حسناء هرع

إليها ضارعا أن تنقذه من عذابه وألمه ، بأن تفسح له مكاناً

فى قلبها .. لعله يكون من الناجين فيسعد ..!

ولكن ما كان له أن يملك فى نفسه شيئاً ، فما كانت تفتح
لـة فتاة قلبها ، ويسير وإياها شوطاً فى الحب الذى يطمئن إلى
دوامه كل منهما حتى تظهر فى أفق قلبه شمس فتاته الأولى ،
فتمحو بأشعتها كل شيء ..

وحدث ذات يوم أن رأى فتاة وقال يصفها لى :

« لم يصفها الله حسناء ، بل صاغ الحسن منها »

رآها .. وسار خلفها ، يرسل إلى أذنيها آى الاستحسان
العذب ، وسأيرته ، وتمادى بهما الحلم ، حتى استوثق هو من
أنه قد أحب حقاً .. ونسى تلك التى أذلت كبريائه .. وأصغرت
إبائه .. ولم تحفظ عليه عفاف نفسه وحيائه .. واغتر بشقته
فراح يذكر لفتاته ماضيه ، وأنه هرع إلى رحمتها من ظلم تلك ،
وإلى جانبها من جحيم تلك لى يرى الجنة .. وإلى نور حبها ،
من ظلام الصد والهجران ... ورضيت الطائشة بأن تقبل قلباً
مزقاً ! .. وحشاً بالية ..

ولكن .. لم يكن حبه هذا إلا وهماً .. ولم تكن نجاته إلا
سراباً ، فقد سطعت فى نفسه شمس الفتاة بعد ما حجبتها
غلايات السحب التى انقشعت ، وبدأت من خلفها رائحة الجلال ..
وكأن صوتاً يأمره :

— إرجع إلى أسرك فانك لا تملك لنفسك أمرا
قال حسام :

تعجب يا جمال .. ألهذا الحمد ..؟!

قال : لقد خلّدتك كما قضت على سعادته ، ولقد كان في
أيامه الأخيرة يستعذب الألم في أغلب أوقاته ... ولكن ثورة
آلامه إذا احتدمت فقد كانت تبكيه

كنت أراه يا حسام ساهما صامتاً ، فأنظر إلى وجهه ، فاذا
الدمع في عينيه يترقرق .. ثم لا يلبث أن يتدفق .. ثم يجهمش
في البكاء ...

ولقد عذب أمه عذابه ... وشقى بشقوته صحابه ، وتألم من
أجله أترابه ...!
قال حسام :

... ولكن ما ذكر الفتاة بين الغيد ، وكيف صارت حالها
بعد ما اتسعت شهرتها وشاعرها ...؟!
قال جمال :

صارت محط الأبصار والآمال .. وصار بيتها كعبة
الفضوليات من الفتيات .. وتوافد على ذويها — من كل فج —
من يطلب يدها ، فما كان جزاءهم غير الرفض .. إلا هذا الرجل
الآخر الذي فتنهم ثراؤه ...!!

قال حسام :

لقد أسعدها وأشقته ، وأظهر للناس حسنها فبخسته حقه ..
وأبرز مميزاتها .. وعرضها في أخيلة الناس في أحسن صورة
تخلب اللب وتفتن الوجدان فتوله بحبها الجميع .. وكان جزاؤه
الشقاء والعناء !! ..

قال جمال : أجل

وأردف حسام :

ويجب أن يكون هذا جزاؤه .. فالعالم يا صديقي لا يجزى
المحسنين إلا بالاساءة والشقاء في حياتهم حتى إذا ما قضوا ..
قالوا : رحمة الله عليهم فقد كانوا محسنين !!

قال جمال :

ولقد أعرف أنها ما كانت تحل في بلد ، وعرف أهلوه
مقرها ، إلا وراحوا يحجون إليه لكي يروا تلك العذراء التي
خلقت شاعراً فذاً في وسط سادة الخمول ..

وكانت تعرف ذلك منهم ، فتشفق على نفسها من نظراتهم
المختلفة المعاني ... بين الحسد لها ، والحقدها عليها ، والرثاء
لذلك البائس المسكين ... فكانت تقابلهم حيناً ...
وتعتذر أحياناً ...

قال حسام :

لقد عظمها شاعرها ، وجعلها تنبؤاً مكاناً اجتماعياً كبيراً
ما كانت بالغته بنفسها ، وإن يكفله لها جمالها وحده ..

إعلم يا جمال أن الجمال سلعة كاسدة ، غير رائجة سوقها ، إن
لم يصادفها شاعر ، يشيد بذكرها .. ويمجدها ، وينوه عنها ..
ويذبه لها الأذهان .. فلو لم يكن صاحبك لظلت فتاته خاملة
الذكر طول حياتها ، وقضت دون أن يشعر بوجودها إنسان
.. لقد خلقها كما خلقتة ..

وصمت الاثنان برهة قال بعدها حسام :
واسكن سر اختفائه لم ينكشف بعد ..! .. لقد مرت به
أيام ولم يعلم عنه أحد شيئاً ...
قال جمال :

ولقد بحثنا عنه كثيراً فلم نعرف مقره ، إنه ليؤلنى أن يختفى
كذلك ... !!

... وكان صباح اليوم الثاني ..
ونشر جمال أمام عينيه جريدة الأهرام فأول ما صادفه
صورة صديقه ... وبلهفة أخذ يقرأ ما كتب عنها ...
قالت الأهرام :

عشر رجال مصلحة الحدود الجواله في مجاهل الصحراء

الغربية على (الأستاذ حمدي) ماقي بجوار أكمة ، فاقد الحياة
لشدة القيظ ، وحر الهجير ، وكان في جيبه صورته وحافظة
نقوده ، ورقة مكتوب فيها بخط يده عبارة هذا نصها :
« ضاق بي العمران .. ولم أظفر فيه بتمحنان .. فهرعت
إلى الصحراء ، عانى أنال في فضائها العريض ما عشت محروماً
منه طوال أيام الحياة التي لم أر منها إلا ظلام الشقاء .. فالى
فتأتى نفسي وقلبي »

وقد قرر الطبيب الشرعى أنه مات ظمأً .. فالى رحمة
الله وفى رضوانه ...

صعق جمال للمخبر ، واعتراه ذهول فلم يدر أيصرخ أم
يبكى وقال :

« لقد عاش ظمأناً ، ومات ظمأناً .. فكانت حياته
كلها ظمأً ... »

وطار أحدهم بالمخبر إلى الفتاة ..

فتظاهرت بعدم الايمان .. وما كاد المخبر يعرض أمامها
صفحة الأهرام ورأت الصورة .. وقرأت خبره حتى صرخت
صرخة داوية ، وكانت تنشج وتقول :

« لقد أحسن إلى فأحيانى .. وأسأت إليه فقتلته » .



دائتي ٥٥٥

« رب اللغة الايطالية .. والساھر على نماثھا »
« في أرجوحنھا .. ونبع الوطنية الفياض .. عاش »
« شريدا ، ومات طريدا ، ولم يعترف بفضله أحد »
« معاصريه .. !! »

من ذا الذي لا يعرف رجل إيطاليا الأول .. الذي جاهد
جهاد الجبايرة ، لجمع شملها ، وتوحيد كلمتها .. ؟ !
ذلك الشاعر الفلورنسي ، الذي رعى اللغة الايطالية في
مهدھا ، وترنم لها بأناشيد عذبة طليّة ، وهى في أرجوحنھا
كالطفل الوليد .. حتى نمت ، وصارت فتية .. !!
ذلك الرجل .. هو دائتي اليجييرى .. !!
إن كنت لا تعرف عنه شيئا .. فتعرف عليه في كوميديته
المقدسة التي جاءت آى العبر .. ورمز الخلود ..

تعرف عليه في جحيمة .. وأعرافه .. وجناته .. تلك التي
رسمها للبشر بأبرع ريشة يختال بها أنبغ الفنانين

نشأ دانتى غيوراً في وطنيته .. فطرياً في شاعريته ، محباً للعزلة
في أكثر أوقاته .. وتقلب في مناصب كثيرة بحكومة مدينة
فلورنسا الجميلة .. فلورنسا التي تغنى بحماها الشعراء ..

وكانت إيطاليا ، إذ ذاك مقسمة إلى حكومات واقطاعات
عدة .. يسيطر عليها البابا جميعاً ، فباشارة من بنانه ، يقلبها رأساً
على عقب .. !!

واضطربت الحكومة الفلورنسية ، وانقسم الأهلون إلى
شيع ، وأتباع ، وطوائف .. وكان من جراء هذا الاضطراب
وهذه الانقسامات .. أن استبدت فئة بالحكم ، وراحت تطارد
الزعماء ، ذوى الوطنية الصادقة .. والغيرة الحق .. حتى شردتهم
في أنحاء أوروبا .. بعد أن حكمت على بعضهم بالاعدام .. ففر
من فر .. وهلك من هلك .. !

ومن فروا تحت جناح الظلام ، تاركاً بيته وأولاده ، وزوجه
على أمل أن يعود ظافراً ، حاملاً لواء النصر والحرية .. ولم
ترض بالموت ظلماً من أيدي المستبدين ودون أن يخدم وطنه
.. من هؤلاء .. كان دانتى .. !!

لقد كان عنيداً فى الحق .. صادقاً فى العزم .. لم يرض بهذا
الظلم .. ولا بهذه الفوضى .. فراح يستنجد بأمرأ وحكام
كثيرين .. فى الاقتطاعات التى تحيط بفلورنسا .. وكان من أكبر
أمانيه أن يرى رجلاً حازماً ، يجمع شمل إيطاليا .. ويقبض على
زمام الأمور فيها .. يخشى الله .. ويخاف عذابه .. حتى تستطيع
إيطاليا ، التى يرى فيها الأم المقدسة .. ذات الحدود الطبيعية ..
أن تكون دولة لها سلطان ونفوذ ، ولكى تهدأ فلورنسا الجميلة
التي هى مسقط رأسه ، ومهبط وحيه وأحلامه ..

كانت هذه أحلام الرجل الطريد .. التى تراءى له ذهبية
وهاجة .. تخلب اللب . وتشمل نفسه طرباً

وتشاء الأقدار أن يرى دانتى بارقة الأمل تنبثق ، فتضيء
أفق آماله الملبد بالنيوم .. فيعثر على ضالته .. فيبعد سنين قضاهما
شريداً طريداً ، بعيداً عن وطنه ، يلهمه الشوق إلى زوجته ،
والحنين إلى بنيه ، يحيا بين دجئات اليأس وغسق القنوط ..
بعد هذه السنوات أخذ ديبب الأمل يدب إلى قلبه .. !!

فها هو ذا الامبراطور «اريجو السابع» يصل إلى إيطاليا ..
ذلك الامبراطور الذى يخاف الله ويخشى عذابه ، كما يرجو
دانتى ، ويستعد لافتتاح أبواب فلورنسا للوطنيين المنفيين ...
وقد وعد دانتى بذلك وعداً صادقاً وبأنه لا بد فاعل بعد ما ينتهى

من لو مبارديا . . . سيذهب لاختضاع المدينة المتمردة وقبلها
يزحف على روما

ولبت دانتى ينتظر قلقاً . . بين عواصف خضم الأوهام ،
الذى تلاطم موجه . . ورغى زبده . . وكثيراً ما راح يتعجله
من ناحية ، ويكتب النداءات الى بنى وطنه ويحضهم على معاونة
الامبراطور فى دخول فلورنسا . . وألا يقاوموه من ناحية
أخرى . . . فكانوا يضربون بنداءاته عرض الحائط . . . ولا
يقيمون لها وزناً . . . الأمر الذى جعل الحكومة الفلورنسية
تعمل على مضاعفة النكاية به ، فتصدر عفواً يشمل جميع
الفلورنسيين المنفيين . . وتستثنى من بينهم دانتى ورفاقه . . الذين
كانوا على شريعته . . منضوين تحت لوائه . .

وفي هذه الأثناء ضاعفت الأقدار الكارثة بأن مات
الامبراطور . . . دون أن ينجز وعده . . . فيحقق آمال دانتى الذى
فقد — بموت الامبراطور — كل شيء . . وضاع منه كل رجاء ،
وذهبت كل متاعبه وكتاباتة أدراج الرياح . . . !!

وكان موت الامبراطور . . فى أغسطس سنة ١٣١٣ . . .
ثم ظل بعد ذلك شريداً ، طريداً ؛ إلى أن مات بعيداً عن وطنه . .
دون أن يعترف أحد بفضله . . فويل لأصحاب الهمم والآمال . .
من أغسطس . . . !!

كواليس !..

في يوم الجمعة ٣ أغسطس سنة ١٤٩٢

ودَّع الشاطئ ينوى سفرة
إنما الآمال تحدوه إلى ..
قائلاً : سجل أيا تاريخ في
قصة المجد الذي تنوى له
ردد الصحب بعزم قوله
وإلى المجهول ساروا صحبة
ليس يدري في غد. ماذا يكون
خوض يم لم يخضه السابقون
صفحات المجد بين الخالدين
هذه الرحلة .. إنا ظافرون
ودعوا الريح إلى دفع السفين
في دجى الشك .. وأحلام اليقين.

تشرق الشمس من الماء وفي
تقطع اليوم إلى مغربها
لا ترى شيئاً عدا الموج علا
وعلى الصفحة يرغو زبد
قائلاً : هذا هو المجهول لم
إنه الغامض لن تكشفه
قبة الفلك بصمت وسكون
فاذا الماء لها خدر مصون
لعناق الموج في شبه حنين ..!
هو صوت الدهر في أذن السنين
تستبح حرمة مر القرون ..!
من بنى الانسان أحداق العيون.

لم يزل صوت الفقاقيع الذي
يملاً الجو هتافاً خافتاً
هو صوت الدهر من حين لحين
هو أنغام .. لتشجى السامعين.

وإذا اليم عرته رجفة
فعلى الماء شراع ساج
إنه يسمى عليه فئة
غضب البحر، وثارت نفسه
فعلا الموج كمضب صاخباً
وإلى الفلك الذى يسرى التوى
هاجوا الجوع، وحانت فرصة
سخر الساج من ثورته
زجر البحر لسخر ناله
فدعا الأنواء فى نصرته
رجفة المحموم يعرفه المنون ..!
يقطع اليم بعزم الآمنين
وإلى المجهول جمعاً سائرين
واستحث الموج نحو المبتدين
وعليه سمة كالخافقين
فانغراً فاه كضرغام العرين
لاقتاص الصيد فى الغاب الحصين
وتهادى لا يبالي بالمهين ..
ومن الخنق عرا البحر جنون
ليلاقى الخصم فى حرب زبون

يا شراعا بكجناح ساج
ما بك اليوم كريم جناح
وهل الخصم يلاقى خصمه
حيرة تحويك فى حوزتها
ها هو اليأس إلى أنفسهم
فى الفضاء الرحب مشجى أمين
أترى فى الموج ختصما لا يلين ؟
مخفض الرأس بذل المستكين ؟
أضلال قد عرا القوم مبين ؟
يرسل الأطياف فى شبه ظنون
طالت السفرة .. ماذا ياترى ؟
أ إلى البحر خرجنا قاصدين ؟؟

قد خرجنا نقصد الأرض .. وما
تؤمن اليوم بأرض لا تبين .. !
قد اتقينا الصعب في رحلتنا
وعلى الشقوى ظللنا صابرين
إن تمادينا فانا لا نرى
غير أنا في عداد الهالكين
فلنعد يا قوم .. هذى خدعة
صاغها الوهم بنفس الواهمين !

راع كواكب ما شاهده
في عيون الصبح من روح حزين
يعلن الثورة في مبدئها
يصعد الآمال في الركن المكين
فتر العزم ولم يبق له
غير أنقاض رجاء لا يعين
هو ذا الماء تأخى والسما
وطغى اليأس على حلم اليقين

ومن الدجنة لاحت فرجة
أرسلت نور هدى لليائسين

قد رأوا طيراً بآفاق السما
يركب الريح ، فقالوا هاتفين :
إن هذا من تبشير الهدى !
وبهم صاح صبي في جنون :
قد أرى الأرض .. افطاروا نحوه
في سرور .. ثم راحوا ينظرون
نشوة النصر أسالت دمعهم
وعلى السيد راحوا ينثرون
قبل الفوز ، وآيات التنا
ودعاء المجد : إنا خالدون !

لقى الراحل في سفرته
من صنوف الهول ما يعي الظنون
ولو اختار لبدء الرحلة
غير «أوغسطس» ذا الشهر اللعين
لا هتدى دون عناء .. إنما
ثمن المجد شقاء الطالبين
فاركب الأخطار ، إن رمت العلا
لن يرى العليا للخوف خدين

مشعل الحرية

قم أيها الرجل وانقذ وطنك .. !!

تلك هي الكلمة التي تصاعدت من أعماق نفس المعلم يعقوب
القبطى ، ففلاّت عليه فراغه ، وأضأت سبيله بين ظلام الظلم
الداكن .. الذى بدا أقتم عندما سطعت أنوار مشعل الحرية ،
الذى جاءت ترفعه الحملة الفرنسية ، في يمينها ، كى تزيل بسنانه ،
الغشاوة من على عيني الوسنانين من أبناء النيل .. !!
أجل ..

لقد قضت مصر حيناً من الدهر ، ضربت عليها الذلة
والمسكنة ، حزينة ، لا تسمع صوت أبنائها يعلو .. ولا تحس
بأن من بينهم من يجرؤ على رفع نير الاستبداد عن أعناقهم ..
وكانت تئن ، وكانت تتوجع .. والنيل يترجم عن آلامها ،
بدموعه الفياضة ، تتجمع كل عام ، وتتدفق جملة واحدة ..

ولقد رأى الأبناء النور .. فراقهم .. فلم تعد نفوسهم
تستسيغ الظلام .. فانهم ليرونه .. أسراً ضيقاً ، وسجناً قبيحاً ..
شعر المصريون بأن أثنى شيء على العالم بأسره ، هي أنفاس
الحرية .. تتردد في طمأنينة .. ولا حياة في ظل الذل ، والاستعباد ،

وأن من يستعبدونهم ، ليسوا إلا بشرأ مثلهم ، ليس لهم عليهم
حق السلطان .. ولا السيادة ..

أكبرت الديار هذه الفكرة .. ورقصت مصر طرباً إذ امتد
شعاع الأمل إلى أعماقها .. وتغنى النيل بأنغام خيريه .. مرتلا
هذا الجلال الذى شب فى نفوس أبنائه، تلك الفكرة النابذة التى
خامرت نفوس الجميع، ولم يستطع أحد أن يفتح بها أحداً.. لولا أن
أهابت بالمعلم يعقوب نفسه ، فكاشف بها بعض أترابه ،
ومواطنيه ، من سراة مصر ، ذوى المسكنة .. فألفوا وفداً ..
قصد إلى إنجلترا وهو على رأسه. فى عزمه أن يفاوض إنجلترا هو
وأتباعه على ألا تدع فرنسا تدخل مصر.. وأن تعاونهم على طرد
الأتراك أيضاً من البلاد حتى يكون لهم حق السيادة على أنفسهم ..
فى إدارة بلادهم .. وثن ذلك .. أى ثمن معاوتها إياهم ، أن
يرعوا مصالحها فى الشرق ويضمنوا لها مصالحها التى تحتك بهم..!
وأبحر الجميع دون أن يعلم أحد بما فى نيتهم .. وما
كانوا ليعلموا أن أغسطس سيواجههم بشؤمه .. !!

واهاً للناس من أغسطس !

لقد مرض المعلم يعقوب ، الذى هو رأس هذا الخير ..
ومنبع هذا النور الذى منت مصر نفسها بسطوعه .. مرض

الرجل فى الطريق .. ووافته المنية .. ولم تزل البلاد تروح تحت
عبء همومها .. ولم تتخلص من ظلامها .. وكانت ذلك فى
١٠ أغسطس عام ١٧٨١ وبموته .. انطفأ الشعاع .. وتوارى
الرجاء .. !!

المنقذ .. !

هذا هو النيل ..
كل يوم اضطراب على شاطئيه ، ودماء تجرى ومعارك
تدور ..
وأبناء البلاد تنوء كواهلهم بالضرائب الباهظة التى يرهقون
بها .. والحال تسير من سىء الى أسوأ .. ما بين عسف الدولة
العلية .. وظلم الممالك الذين قبضوا على زمام الامور فى
البلاد ، وساموا الناس الخسف والعذاب .. !
وها هى ذى البلاد تنتقل من درجة إلى ما دونها .. آخذة
فى التدهور .. والانحطاط ، ولا منقذ ولا مغيث .. !!
وسط هذا الاضطراب .. وبين هذه القلاقل .. وبجانب
هذا الظلم .. نبتت زهرة نفحت النيل وواديها بأريجها .. فانتعش ..
وفاضت عليه بعطرها فأحيته .. تلك الزهرة .. هى رجل ..

كله همة .. وكله نشاط .. وكله ذكاء متوقد .. تواق إلى العليا ..
يفكر ويدبر ويحسن التصرف .. !

هذا هو .. المخفور له .. محمد علي باشا !!

ولن أطيل عليك يا قارئ في هذا الصدد .. فما كتبت لك
أقص عليك تاريخه المجيد .. ولكن لكى أقول :

« ويشاء القدر أن تبكى مصر منقذها فى ٢ أغسطس

عام ١٨٤٩ »

ملحوظة : لضيق المقام لم نستطع سرد كل ما وصلت إليه أيدينا من
الحوادث المهمة التى حوت وجه التاريخ وكانت فى أغسطس وان الذى ينقب
فى الأسفار لا شك ستعثر على الكثير .. فمثلا الحرب الكبرى ابتدأت
فى ٤ أغسطس عام ١٩١٤ ويوم ١٠ أغسطس المشهور فى التاريخ الفرنسى فقد
تحطم فيه تاج الملكية وغير ذلك مما يضيق عنه الحصر فعذرة يا قارئ العزيز



نفس حبيسة

ليلي :

أغالب دمعى كلما طاف بالنهى

شقاء فؤادى فى ظلام هواك

وأغفل نفساً — ما حفظت إباءها

وأذلتها يا ليل — عند لقاءك

تثور ، وتأبى أن تظل مهانة

فما صنت يوماً كبرياء فتاك .. !

وكيف يدوم الحب ، والقلب فى لظى

ولم ير يا ليلي جميل رضاك ؟ ؟

رضاك جميل ، قد لمست جماله

ولكن بأحلام بهن أراك !! .. !

وأبسم للقاء ، ونفسي حبيسة
 وقلبي يخشى منك مر جفاك
 فكم مرة فيها التقينا ولم أنل
 سلامك يا ليلي ، فما أفساك
 قسوت على قلب يعذبه الجوى
 وأى جوى يا ليل غير جواك ؟
 أكان التجافي منك ليلي عقيدة
 أم أنك تخشين العيون تراك . . ؟
 تحدثني نفسي ، وقلبي والنهي :
 وما فيهمو من كاذب أفاك ! . . !
 بأنك يا ليلي عطوف ، وإنما :
 نفارك دلّ في هوى مضناك . .
 تظنين قلبي من صخور جلامد
 وليس به حس ؟ فكيف هوالك ؟ ؟
 وترمين حي بالظنون . . وليس لي
 بدنيا الأمانى ، غير صفح ملاكى !
 إذا كان من ذنب أتيت : ولا أرى
 حبك إلا أن رضيت هلاكى ! . . !
 فذنى إلى نفسي . . وليس إلى التى
 وجدت هواها قاسى الاشواك

واسنى

مرضت .. وحجبنى المرض أياماً عن الصحب .. وكان مرضاً قاسياً أشفق
الجميع على من التلف لشدة وطأته .. وبعد مدة عانيت فيها من الآلام ما عانيت ..
أخذت أتقدم نحو الشفاء بخطى وثيدة .. إلا أن القضاء أبى على الاستماع
بلادة العافية ، فقد سدد الى الفؤاد سهامه فأدماه .. إذ قدم من يطلب يدفتانى ..
وكانت تباشير الرضى والقبول بادية على ذوبها .

وفى يوم ٢١ يوليو .. قبل أن أعود للاخوان بيوم كنت واقفاً فمرت بى
السيارة التى تقبل أهل (الخطيب الجديد) فكنت أراها ، وكأنها القبر المتحرك
الذى أعاد لفؤادى ليدفن فيه .. وما أشنعه من قبر ..

وفى اليوم الثانى عدت لمجالس الصحب .. وأنا مهدم الكيان ، فكثب لى
الآخ الشاعر الأستاذ عز الدين افندى رشاد .. قصيدة يهتئى فيها بسلامة العودة
والنجاة من مخلب المرض ، وكان لا يعلم من أمر نفسى شيئاً . فكثبت إليه
رداً على أبياته ...

حفروا للفؤاد بالأمس قبرا	بعدما شتتوه شرقا وغربا
تنفأ .. فى ظلام عيش ثقیل	نصب الدهرفیه للقلب حربا
كنت فى حومة الوغى ويقىنى	أننى عاشق سأفقد قلبا
ليت قبرا لمهجتى حفروه	كان للجسم من همومى حجباً

واسنى .. واسنى .. صديقى إنى	قد لمست الحياة جمرأ ولهباً
وتحطمت ، كيف حال حطيم	صار للحزن والنوازل نهبا
وتجرعت كأس صاب مرير	ليس ذا نشوة ولا مستحبا

هو سم .. واى سم زعاف مثله قسوة وأكثر رعبا
أحرق الكأس خافقاً بضلوعى عاش طول السنين يخفق حبا
لجميل غزا الفؤاد هواء وسقتنى يمينه الكأس عذبا
كان لى سلوتى، وكان أنيسى كان لى قربه دواء وطبا ..
كان ذخرى، وكان كل رجائى بحياة صفاؤها صار كربا

أيها القلب ليس رزؤك هيناً
لا أرى مثل خطبك اليوم خطبا
إبك! .. نح ..! فى الضلوع لست ملاماً
أى خطب عرا كخطبك صبا .. ؟
تر ..! ترنح من الأسى والعذاب
إقض باقى الحياة لطماً وندبا ..
مزق الصدر ، إيت ما أنت آت
ليس فيما تجيء يا قلب عجباً .. !
أى لوم على الذى ليس يرجو
أن يرى النور ، دون أن يجنى ذنبا ؟

واسنى .. واسنى .. صديقى إنى قد لمست الحياة جمر أولها .. !!

صورتى .. !

.. فى مساء ٣١ اغسطس سنة ١٩٣٦ مرت أمام المرأة اتفافاً . فرأيت
ماقد كسا الوجه من شحوب .. والجسد من هزال .. روعنى مرآها فاغرورقت
عيناي بالدموع ، وإذا لسانى يجرى بهذه الآيات :

صورتى .. قصتى .. ألا خبريها	أننى اليوم فى طريق الفناء . !
إن جسمى يذوب دليلى ، رويداً	من همومى وشقوتى وعنائى
وأنا لا أريد عمراً طويلاً	بعد ما غالت السنون رجائى
كيف أحيا .. ولا رجاء أمنى	فى ظلام الحياة غير الشقاء
أين آمالى العذاب توارت ؟؟	أين صفو الحياة ؟؟ أين هنائى
لا أرى اليوم فى الحياة ضياء	أتدوم الحياة دون ضياء ؟
ألدى الحياة صارت ظلاماً	أنا يادهر .. ؟؟ أم لدى الأحياء ؟؟
كان لى فى الحياة نجم مضى .. !	أين ولى ؟؟ وكان حلوا السناء
ألغيرى يضى .. نجمى رضياً ؟	أيها الدهر .. ! أم بغير رضاء ؟
لا أريد الحواب .. ! حسب فتوادى	

أن توارى الرجاء دون عزاء .. !!

زفرات السحر ... !

هو ذا الكون تولاه السحر	وفتوادى لم يزل يضطرب
من رزايا الدهر من شر الغير	إن قلبى بالنوى يلتهب .. !!

قضت الأيام أن أحيا شقيا ذائب النفس حطيم الأمل
ليس لي في الكون من يحنو علي ولشقواي . . . تمادى أجلي

نزعوا مني سويداء فؤادي ثم أقصوها ، وأبقوني وحيدا
ليس لي غير دموعي وسهادي لا ترى عيناى في الدنيا جديدا

يا حبيبي هل ترى ألفى جواباً لسؤال ثار في نفسي وحرار ؟
أرغبت المال .. ؟ أم رمت الصحابا .. ؟
أترى قد كنت حر الاختيار .. ؟

خدع المال فؤاداً لك حياً .. أو يغري المال ربات الجمال .. ؟
أو صدق كل ما قيل إليا كيف هذا ؟ أو حق ما يقال .. ؟

يا حبيبي : إنما المال رداء سوف تبليه الليالى والمحن .. !
كيف ترضى الشيء يعرفه فناء عهده يمضى كأحلام الوسن ؟؟

وضع المال بدنيانا قياساً .. لبنى الدنيا . . . فيا بئس القياس
جرد الدهر من المال أناساً
أو ليسوا في الورى ضمن الأناس .. ؟؟

كم غبي ستر المال غباءه ففدا في الناس مسموع الكلام ..!
وليب عاره الفقر رداءه فتولى الناس عنه في صميم ..!!

قفص العظام ... ؟

ما الحياة إلا قفص قضبة تتراءى من الخارج ، إذا نظرها
الانسان بغير بصيرة نافذة ، وكأنها صيغت من الذهب
الأبريز .. ولو لمس حقيقتها المرة للسعته النار التي تضطرم
في داخله . فما هذا القفص الأبريزي القضب ، إلا أتون من
اللهب .. وما الناس في داخله إلا أشباح تتراءى في ظلماته
متباينة .. منهم السعيد الطروب .. وهذا من لا عقل له ،
ولا إدراك .. وبينهم التعس المسكود .. وهذا صاحب
النهى والشاعرية ..

أنا يا حبيتي بين جنبيه شريد طريد .. وكأنتي سجين ،
أترنح لقسوة الألم الذي ألتقاه .. لا يخدعني زخرف القضب
الأبريزية ، ولا يرقها الوهاج .. وما العيش بين أركانه إلا
مر وحنظل .. وليت لي منفذاً للنجاة منه .. !

هون عليك أيها القلب الشقي
وأنت أيتها النفس المعذبة الشائرة .. أهدئي .. فعما قريب

ستنجاب الظلمات .. وتنقشع الغيوم وتبدو الحقيقة .. فاذا
السعيد والشقي سواء .. وقد أدرك الجميع اللهب ، فأهلكت
الأجساد ، فيذهب كل جسد بما جنى ، ويبلى الأديم ويختلط
بالتراب .. ولا شيء يبقى بين جنبي هذا القفص الضيق إلا
العظام .. تتحدث إلى الأبد ، بسر شقاء الأشرقياء !!

بشرى جائع .. !

الحياة كلها خدع وأكاذيب ، وليس فيها غير الرياء
والملق .. ولا شعاع للحقيقة ينير السبيل بين ظلماتها
الحالكة ..

لقد تقبت عن الحقيقة الواقعة . فاذا الناس لها لا يعرفون ..
ومن ذكر اسمها يفرون .. ويفرقون .. ولم أبصر لها بصيصاً
يضطرب بين هذه الحلاكة الدامسة !!

- إننى لأتخبط فى الدياجير ، تأذونى الأباطيل التى يسير
فيها الخلق والأوهام التى ملأت نفوسهم .. وإن نفسى لحيرى
جائعة .. نهمة .. تريد أن تشبع على مائدة الحقيقة .. ولكن
أين هى ؟؟

إنها لا أثر لها فى الكون .. ويخيل إلى أننى سأظل جائعاً
إلى الأبد !!

يقولون ..

ولكننى ارى ..!!

يقولون إن الحب فوق كل شيء .. ولكننى أرى أن الكرامة
فوق الحب .. فان من يتهم في عاطفته ويعد هذا الاتهام إهانة
وجب عليه أن يسحق قلبه بقدميه .. مستعذباً مرارة الألم ،
فى سبيل أن يرى تاج الكبرياء يظل رأسه ..!!
ذلك مبدئى الجديد

ختم

ما أجمل الحياة وأبهجها وقد خلت من الألم ، وانقشعت
من سمائها سود الديم ، وأخذت دعتها وهدأتها تكسوانها بظل
وارف ، وتنفتحانها بعبير نفاذ أخاذ ..!

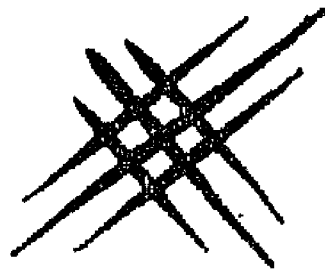
فالنور يترامى وعلى ضفتيه كل شيء جميل
والهواء الرقراق وفى ثناياه النفح العطر
والهدوء يغمر الشعور ، فتفيض النفس بأحاسيس شتى ،
حالة ، ناعمة ..

إنى لأختتم اليوم كتابى هذا ، فأودع به ثلاثة وعشرين
عاماً تصرمت من حياتى ، مليئة بالشقوة والشجن ... والعنا

والضنى . . ختاماً يخلق عهداً جديداً ، لا يمت للماضى بصلة :
ولا تربطهما الأسباب

ولقد تبدل يقينى بعد أن تبين لى أن العالم حتى الساعة لم
تنبعث بين ربوعه المرأة التى تستحق من الرجل تضحية وإثارة ..
حتى ولا أن يسكب فى سبيلها دمعة .. ؟

٢٠ فبراير سنة ١٩٣٧



ملحوظة : وقعت بعض أخطاء مطبعية نذكر منها فى صحيفة ٢٠ سطر ١٨
« الا ابليس » وصوابها « الا أن ابليس » فى صحيفة ٣٧ سطر ١٢ « دى
المهراق » وصوابها « دى المراق » وفى صحيفة ٥٥ سطر ٧ « لكى يسكبه
الشفق » وصوابها « لكى يسكبها » وفى صحيفة ٨٦ سطر ٥ « الفريق »
وصوابها « الفريق » وفى صحيفة ٩٧ سطر ٧ « أمه » وصوابها « أمامه »
وغير ذلك نتركه لذكا القارىء . .

ولا يفوتنا قبل أن ننتهى من الكتاب أن نشكر للأستاذ عبد الجليل
الفندى اسماعيل الخطاط بالمساحة بالفيوم . . فضله فى تحلية رؤوس الموضوعات
يخطه الجليل . . فليتقبل شكر أخيه الذى يدعو الله ألا يحرمه من أفضاله ؟